كلية الدراسات العليا

قـــسم أصـــول الديـــن

قصة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد الطالبة:

لطفية تيسير محمود محاميد

إشراف:

د. هارون كامل محمود الشرباتي

الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير من قـــسم أصـــول الديـــن بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل

1441هـ-2020م

قصة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد الطالبة:

لطفية تيسير محمود محاميد

إشراف

د. هارون الشرباتي

نوقشت هذه الرسالة 2020/4/2 وأجيزت من أعضاء لجنة المناقشة

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. هارون كامل الشرباتي	مشرفاً ورئيساً	
د. عطية صدقي الأطرش	ممتحناً داخلياً	
د. إسماعيل أمين نواهضة	ممتحناً خارجياً	

الخليل- فلسطين

1441هـ-2020م

الإهـــداء

إلى أفراد عائلتي القريبة
زوجي وأولادي (صهيب وإبراهيم ومحمد ونضال وحنان)

إلى أفراد عائلتي الكبيرة
(خير أمّة أخرجت للناس)

إلى أبناء شعبي الفلسطيني في كل أماكن تواجده

إلى كل إنسان يحمل الخير للبشرية ويعتبر نفسه من نسل آدم (عليه السلام)

إلى المشرف على رسالتي هذه
فضيلة الدكتور هارون الشرباتي

إلى كل من ساندني وساعدني

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع

الطالبة
لطفية تيسير محمود محاميد

شكر وتقدير

انطلاقا من قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)،[1] وقوله (ﷺ): (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[2]، وبعد أن منّ الله عليّ، وأكرمني بإتمام هذه الأطروحة، لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بالحمد والشكر لله تعالى، فهو الموفّق وهو الميسّر (سبحانه وتعالى)، ثم أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان، لكل من ساعدني وساهم معي ولو بالقليل، في إتمام هذا العمل.

أخصّ بالذكر أستاذي الجليل المشرف على هذه الرسالة، فضيلة الدكتور هارون الشرباتي، الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه الأطروحة، فاستفدتُ من علمه وخلقه ووقته، وقدّم لي النصح والفائدة والخبرة والمنهج العلمي، ممّا كان له أكبر الأثر في بلوغ هذا الجهد إلى هذا المستوى، فله مني كلّ الشكر والتقدير.

كما وأتقدّمُ بالشكر الجزيل لعميد كلية الشريعة في جامعة الخليل، الأستاذ الدكتور مهند ستيتي، وإلى السادة أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة.

كما وأشكر العاملين في مكتبة جامعة الخليل، ومكتبة كلية الدعوة والعلوم الإسلامية في أم الفحم، ومكتبة كلية القاسمي في باقة الغربية، ومكتبة الأقصى، والمكتبة الختنيّة في الأقصى.

لكل هؤلاء، لمن ذكرت ولمن نسيت، أقول جزاكم الله كلّ خير.

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:152}

[2] الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: الألباني، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ج4 ص338، رقم الحديث: 1954. وقال الألباني في تعقيبه على الحديث: "حديث صحيح".

الملخّص

قصة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم، دراسة موضوعية

إعداد الطالبة: لطفية تيسير محمود محاميد.

إشراف: د. هارون الشرباتي

هذه دراسة موضوعية حول قصة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم، حيث هدفت هذه الدراسة إلى: بيان الأصل اللغوي لآدم ولزوجه حواء (عليهما السلام)، وبيان خلق آدم (عليه السلام) وزوجه، وبيان كيف علّم الله آدم الأسماء، وبيان كيف أمر الله (سبحانه وتعالى) الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)، وبيان كيف تكبّر إبليس ورفض السجود لآدم (عليه السلام)، وبيان كيف سكن آدم (عليه السلام) وزوجه حواء الجنة، وبيان نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما، وبيان كيف كان هبوط آدم وحواء إلى الأرض، واستخلافه فيها، وتوبة الله عليه، وبيان العبر والدلالات من كلّ محطة من المحطات السابقة.

وقد اشتملت الدراسة على فصل تمهيدي، حول القصص القرآني وأهميته وأنواعه وأهدافه ومنهجه وخصائصه، كما وأوضحت الدراسة أهمية قصص الأنبياء (عليه السلام)، كون الأنبياء الكرام هم من بعثهم ربّ العالمين ليكونوا منارات هدى ورسالات خير للبشرية جمعاء.

وكانت هذه الرسالة محاولة لجمع ما ورد في القرآن الكريم حول قصة آدم (عليه السلام)، وترتيبها في فصول ومباحث ومطالب، وفقا لموضوعاتها وتفصيلاتها، وشملت الدراسة أيضا العبر والدلالات من قصة آدم (عليه السلام)، التي ألمح القرآن لكثير منها.

(**الكلمات المفتاحية:** قصص قرآني، نبي ورسول، دراسة موضوعية، آدم، عبر ودلالات)

Abstract

The Story of Adam in the Glorious Qur'an: an Objective Study

.by the student: Lutfia Tayseer Mahmoud Mahameed

Supervisor: Pro. Haron Al-Sharbati

The present study aims at identifying the linguistic origin of the names of Prophet Adam and Eve, his wife peace be upon them. It also aims at describing how Allah, the Almighty crated them, taught Adam all names, commanded angels to prostrate to Adam, showing how Satan arrogantly disobey. Likewise, the study sheds light on how the couple - Adam and Eve settle in Heavens where Satan managed to seduce them, though they were forbidden to eat from the tree of eternity. Meanwhile, the study demonstrates Adam-Eve's descending to Earth where Allah turned to them in forgiveness making Adam His vicegerent. Lessons as well as denotations of either stage mentioned above are particularly in consideration.

The study starts with an introductory chapter on the significance, methodology, characteristics and forms of Qur'anic narration with due regard to Stories of Prophets, peace be upon them, as they were sent with message of guidance and light to human beings. Finally, this study is an attempt to collect all information mentioned about the story of Adam in the Holy Qur'an, classified into their subjects and details.

Key words: Qur'anic narration, prophet, objective, Adam, Eve, Lessons.

قائمة المحتويات

الموضوع.....الصفحة

الإهداء.....ب

شكر وتقدير.....ج

الملخص باللغة العربية.....د

الملخص باللغة الإنجليزية.....هـ

قائمة المحتويات.....و

خلفية الدراسة وأهميتها

المقدمة:.....2

أهمية الدراسة..... 4

مشكلة الدراسة وأسئلتها:.....5

حدود الدراسة:.....6

أهداف الدراسة:.....6

مصطلحات الدراسة:.....7

أدوات الدراسة.....7

الدراسات السابقة.....7

منهجية الدراسة.....9

الفصل الأول التمهيدي: القصص القرآني

المبحث الأول: ماذا خلق الله قبل خلق آدم (عليه السلام)؟.....12

المبحث الثاني: القصص القرآني وأهميته.....14

المطلب الأول: تعريف القصة لغةً واصطلاحاً.....14

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني.....15

المطلب الثالث: أهداف القصة القرآنية.....17

المطلب الرابع: منهج القصة القرآنية وخصائصها.....20

المبحث الثالث: قصص الأنبياء في القرآن الكريم وأهميته.....23

المطلب الأول: استعراض لقصص الأنبياء في القرآن الكريم.....23

المطلب الثاني: أهمية قصص الأنبياء.....24

الفصل الثاني: **قصة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم** .....

المبحث الأول: أصل تسمية آدم وحواء.....27

المطلب الأول: أصل تسمية آدم.....27
المطلب الثاني: أصل تسمية حواء.....29
المبحث الثاني: خلق آدم (عليه السلام) وزوجه.....31
المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول خلق آدم (عليه السلام) وزوجه.....31
المطلب الثاني: العبر والدلالات من خلق آدم (عليه السلام) وزوجه.....50
المبحث الثالث: تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء.....53
المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء.....53
المطلب الثاني: لُغة آدم (عليه السلام).....55
المطلب الثالث: العبر والدلالات من تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء.....60
المبحث الرابع: أمرُ الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام).....63
المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام).63
المطلب الثاني: العبر والدلالات من أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام).....76
المبحث الخامس: تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام).....78
المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام).....78
المطلب الثاني: العبر والدلالات من تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام).....83
المبحث السادس: سكن آدم وحواء الجنة.....85
المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول سكن آدم وحواء الجنة.....85
المطلب الثاني: العبر والدلالات من سكن آدم وحواء الجنة.....95
المبحث السابع: نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما.....97
المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما.....97
المطلب الثاني: العِبَر والدلالات من نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما 104
المبحث الثامن: هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض.....107
المطلب الأوّل: ما ورد في القرآن الكريم حول هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض.....107
المطلب الثاني: العبر والدلالات من هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض.....110
المبحث التاسع: توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض.....115
المطلب الأوّل: ما ورد في القرآن حول توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض.....115
المطلب الثاني: العبر والدلالات من توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض.....127
الخاتمة.....129
نتائج الدراسة.....129

توصيات الدراسة ومقترحاتها.....133
قائمة المصادر والمراجع.....134
ملحقات الرسالة.....143
ملحق بأسماء الأنبياء في القرآن الكريم والسور والآيات التي ذكرتهم.....143

خلفية الدراسة وأهميتها

وتشتمل على:

- المقدمة
- أهمية الدراسة
- مشكلة الدراسة وأسئلتها
- حدود الدراسة
- أهداف الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- أدوات الدراسة
- الدراسات السابقة
- منهجية الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلقنا وجعلنا من ذرية آدم، وممن فضّلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، مصداقا لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[1] والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالقصص القرآني بشكل عام فيه كثير من المحطات المهمة، ويحمل كمّاً كبيراً من الدلالات والعبر، التي يمكن أن تكون ذات مردود إيجابي على العاملين للإسلام في كل مناحي الدنيا، وبخاصة قصص الأنبياء (عليهم السلام)، حيث حكاها القرآن الكريم، مُبرزا في ثناياها كثيراً من العبر والدلالات، فأنبياء الله ورسله منارات للهدى والقسط والخير، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[2]، أرسلهم المولى (تبارك وتعالى) بلسان أقوامهم ليبيّنوا لهم، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[3]، وحتى لا يكون لأحد حجة على الله تعالى، قال (سبحانه وتعالى): (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)[4]

وقصة سيدنا آدم (عليه السلام) هي واحدة من قصص الأنبياء التي تعرّض لها القرآن في الكثير من السور والآيات، فآدم (عليه السلام) هو ممن اصطفاهم الله تعالى من أنبيائه ورسله، حيث

---

[1] (سورة: الاسراء) {آية:70}

[2] (سورة: الحديد) {آية:25}

[3] (سورة: إبراهيم) {آية:4}

[4] (سورة: النساء) {آية:165}

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[1]، وقد فصّل القرآن الكريم قصة آدم (عليه السلام) في كثير من السور القرآنية، وجعلها محطّات، في كل محطة منها عبر ودلالات كثيرة ودروس عظيمة، يمكن أن تشكّل منارات هداية لأي أمة ترغب في أن تسترشد بمسيرة الأنبياء (عليه السلام) جميعا.

هذا ما دفع الباحثة لاختيار هذا الموضوع لتؤسّس عليه أطروحتها لنيل درجة الماجستير في التفسير من جامعة الخليل.

الأطروحة مكوّنة من خلفية البحث وفصلين، الخلفية تضمنت المقدمة، وأهمية الدراسة ومشكلتها واسئلتها وحدودها وأهدافها، ومصطلحات الدراسة وأدواتها ومنهجيتها، إضافة إلى الدراسات السابقة.

الفصل الأول جعلتُه تمهيديا، بعنوان: القصص القرآني، وتضمّن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ماذا خلق الله قبل خلق ادم (عليه السلام)؟

المبحث الثاني: القصص القرآني وأهميته.

المبحث الثالث: قصص الأنبياء في القرآن الكريم وأهميته.

الفصل الثاني تضمّن تسعة مباحث:

المبحث الأول: أصل تسمية آدم وحواء.

المبحث الثاني: خلق آدم (عليه السلام) وزوجه.

المبحث الثالث: تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء.

المبحث الرابع: أمرُ الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام).

المبحث الخامس: تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام).

---

[1] (سورة: آل عمران) {آية:33}

المبحث السادس: سكن آدم وحواء الجنة.

المبحث السابع: نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما.

المبحث الثامن: هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض.

المبحث التاسع: توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من الأبعاد التالية:

أولاً: موضوع الدراسة هو قصة آدم (عليه السلام)، وكون الدراسة تعتمد على ما ورد حولها في سور وآيات القرآن الكريم، فهذا مما يضفي عليها مزيدا من الأهمية.

ثانيا: كون الدراسة تتعلق بواحدة من قصص الأنبياء (عليهم السلام) يعطيها أهمية أخرى، فالأنبياء الكرام هم من بعثهم رب العالمين ليكونوا منارات هدى ورسالات خير للبشرية جمعاء.

ثالثا: مما يزيد من أهمية الدراسة أيضا كونها تتحدث عن قصة آدم (عليه السلام)، فهو أبو البشر، وهو أول الأنبياء، وهو الذي تميّزت فترته بأحداث ذات أهمية بالغة، ستتعرض لها الباحثة في رسالتها هذه.

رابعا : تنبع أهمية هذه الرسالة أيضا من كونها لا تقتصر على مجريات القصة فحسب، وانما بتركيزها على العبر والدلالات التي يمكن اقتباسها من كل قصة آدم (عليه السلام) بكل محطاتها وفصولها.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تتحدّد مشكلة الدراسة في محاولتها الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما هي المحطات التي تعرض لها القرآن الكريم في قصة آدم (عليه السلام)؟ وما العبر والدلالات التي يمكن ان نفيدها من كل محطة من هذه المحطات؟

ويتفرّع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

1. ممّ خُلق آدم (عليه السلام)؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟
2. كيف علّم الله آدم الأسماء؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟
3. كيف أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟
4. كيف تكبّر إبليس ورفض السجود لآدم (عليه السلام)؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟
5. كيف سكن آدم (عليه السلام) وزوجه حواء الجنة؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟
6. ما الحكمة من أمر الله تعالى لآدم وزوجه بعدم الأكل من الشجرة؟ وكيف كان اغواء الشيطان لهما؟ وأكلهما من الشجرة التي حرّم الله عليهما الأكل منها؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟
7. كيف كان هبوط آدم وحواء إلى الأرض؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟
8. كيف كانت توبة الله على آدم؟ وكيف كان استخلافه في الأرض؟ وما العبر والدلالات من ذلك؟

حدود الدراسة

تتحدّد الدراسة في تحقيق أهدافها باقتصارها في البحث على الجوانب التالية:

1. قصة آدم (عليه السلام)، مع التنويه لبعض اللفتات في قصص باقي الأنبياء، بما يخدم موضوع البحث.
2. اقتصار الدراسة على قصة آدم في القرآن الكريم، والتعرض أحيانا لما جاء في السنة النبوية، لحاجة ملحّة تراها الباحثة.
3. اشتمال الدراسة على جميع محطات قصة آدم (عليه السلام) كما جاءت في سور القرآن الكريم، إضافة إلى العبر والدلالات التي يمكن استخلاصها من قصة آدم (عليه السلام).

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1. بيان الأصل اللغوي لآدم (عليه السلام) ولزوجه حواء.
2. بيان خلق آدم (عليه السلام) وزوجه، والعبر والدلالات من ذلك.
3. بيان كيف علّم الله آدم الأسماء، والعبر والدلالات من ذلك.
4. بيان كيف أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)، والعبر والدلالات من ذلك.
5. بيان كيف تكبّر إبليس ورفض السجود لآدم (عليه السلام)، والعبر والدلالات من ذلك.
6. بيان كيف سكن آدم (عليه السلام) وزوجه حواء الجنة، والعبر والدلالات من ذلك.
7. بيان أمر الله تعالى لآدم وزوجه بعدم الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما، ومخالفتهما لهذا الأمر، والعبر والدلالات من ذلك.
8. بيان كيف كان هبوط آدم وحواء إلى الأرض، واستخلافه فيها، وتوبة الله عليه، والعبر والدلالات من ذلك.

مصطلحات الدراسة

1. نبيّ ورسول
2. دراسة موضوعيّة
3. عبر ودلالات
4. القصص القرآني

أدوات الدراسة

1. المكتبة النظرية.
2. المواقع الإلكترونية والبرامج الحاسوبية.

الدراسات السابقة

في حدود اطّلاع الباحثة، ومن خلال مراجعتها للدراسات المكتوبة من كتب ومجلات وبحوث ودراسات، ومن خلال خدمة الشبكة العنكبوتية، لم تجد دراسةً عالجت الموضوع بشكل مباشر وفق ما ورد في حدود الرسالة، إذ لم تقف على دراسة تحمل ذات العنوان أو الموضوع، إلا أنه تم العثور على بعض الدراسات التي تناولت قصة آدم من زوايا أخرى وبحدود مختلفة عن هذه الدراسة، ويمكن إجمال هذه الدراسات على النحو التالي:

1. عقيدة أهل الايمان في خلق آدم على صورة الرحمن:

والكتاب من تأليف حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (ت-1413هـ) وهو عبارة عن 137 صفحة، والكتاب يقتصر في الكلام عمّا ورد في الأحاديث عن خلق آدم على صورة الرحمن، وتخريج الأحاديث والحكم عليها، والتعليق من المؤلف على هذه الأحاديث.

2. آدم (عليه السلام) بين اليهودية والنصرانية والإسلام "دراسة مقارنة":

والدراسة من تأليف الكاتب أحمد جابر العمصي، وهي رسالة ماجستير في العقيدة الاسلامية من جامعة أم درمان الإسلامية.

والدراسة تناولت قصة آدم (عليه السلام) في الإسلام والنصرانية واليهودية، والمقارنة بين ما جاء في مصادر الديانات الثلاث.

والدراسة يقدمها الكاتب كبحث في عقيدة آدم (عليه السلام)، كأول إنسان خلقه الله على الأرض، نبي ما قبل الرسالات، يبحث الكاتب في عقيدته إلى أي الرسالات كانت تنتمي، بأسلوب سلس وبسيط يتميز به الكتاب.

3. قراءة تربويّة في قصة خلق آدم (عليه السلام) "آدم البداية والتربية":

والدراسة من إعداد د. سليمان حسين المزين، الأستاذ المساعد بقسم أصول التربية في الجامعة الإسلامية بغزة.

والدراسة عبارة عن 50 صفحة، وتضمنت أهم المضامين التربوية المتمثلة في قصة خلق آدم (عليه السلام)، حيث قام الباحث بتحليل مضمون الآيات في قصة خلق آدم في سبع سور في القرآن الكريم، حيث جعلها المؤلف في خمسة فصول على النحو التالي: الفصل الأول: ما مكونات الطبيعة الإنسانية كما وردت في قصة خلق آدم (عليه السلام)، الفصل الثاني: ما مراحل التفكير التي عالجتها قصة خلق آدم عليه السلام، الفصل الثالث: ما مراحل التفكير التي عالجتها قصة خلق آدم (عليه السلام)، الفصل الرابع: ما مبادئ عملية التعليم والتعلّم المستنبطة من قصة خلق آدم (عليه السلام)، الفصل الخامس: ما عناصر العملية التعليمية التي شملتها قصة خلق آدم (عليه السلام)، الفصل السادس: ما سمات التربية المستوحاة من قصة خلق آدم، الفصل السابع: ما آداب المتعلم المستوحاة من قصة خلق آدم (عليه السلام).

4. المسائل العقدية المتعلّقة بآدم (عليه السلام):

والدراسة من تأليف الكاتب، ألطاف الرحمن بن ثناء الله، وهي رسالة ماجستير في العقيدة الاسلامية من الجامعة الإسلامية في السعودية، وركّزت على الجوانب العقدية في قصة آدم دون سواها من الجوانب.

والدراسة تناولت قصة آدم (عليه السلام) في العقيدة الإسلامية، وقد جعلها في أربعة أبواب: الأوّل: خلق آدم (عليه السلام) وبيان أنه أصل الإنسان، والردّ على من خالف في ذلك. الثاني: سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) وموقف إبليس منه. الثالث: دخول آدم وزوجه (عليهما السلام) الجنة، وخروجهما منها، وهبوطهما إلى الأرض. الرابع: نبوّة آدم ودعوته ووفاته.

وهكذا يتبين أن هذه الدراسة –التي تنوي الباحثة القيام بها–، تختلف عن جميع الدراسات السابقة من النواحي التالية:

1. هذه الرسالة تطرح قصة آدم (عليه السلام) من خلال القرآن الكريم، في كل سوره وآياته، دراسة موضوعيّة، فهي تقتصر في مرجعيّتها على ما ورد في القرآن الكريم، وليس من مجال اهتمامها ما ورد في السنة، إلّا عند ضرورة تتعلق بمقتضيات الرسالة.

2. الرسالة تشمل قصة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم في كل محطاتها، إضافة إلى تركيزها على الدروس والدلالات التي يمكن استخلاصها من كل محطة من هذه المحطّات.

منهجية الدراسة

وفقاً لطبيعة مشكلة الدراسة وأهدافها، ستقوم الباحثة باستخدام المنهج الوصفي والاستنباطي والتحليلي والاستقرائي، من خلال الخطوات التالية:

1. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في السور القرآنية.
2. تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، مع بيان الحكم على الأحاديث التي ليست في الصحيحين.
3. الإفادة من الدراسات السابقة.
4. الرجوع إلى المعاجم اللغوية، لبيان المصطلحات الواردة في البحث، وكذلك معاني الألفاظ الغريبة.
5. التعريف بالأعلام الواردة في الدراسة.
6. توثيق الأقوال والنقول توثيقا علميا.
7. استقراء الآيات القرآنية الواردة في قصة آدم (عليه السلام)، لتكون الدراسة شاملة لكل ما ورد في القرآن الكريم حول آدم (عليه السلام).
8. تقسيم الدراسة إلى فصول، حيث يتناول الفصل الأول منها: ماذا خلق الله قبل آدم (عليه السلام)، والقصص القرآني وأهمّيته، الفصل الأخير منها قصة آدم (عليه السلام) كما وردت في القرآن الكريم، حيث سيتم تقسيم هذا الفصل إلى مباحث، في كل مبحث منها سيتم الحديث حول محطة من محطات قصة آدم (عليه السلام)، حيث ستقوم الباحثة باستقراء كل ما ورد في القرآن الكريم حول هذه المحطة، إضافة إلى استنباط العبر والدلالات في كل محطة منها.
9. ستستعين الباحثة في استنباط العبر والدلالات من قصة آدم (عليه السلام)، بتفاسير القرآن الكريم وبالدراسات السابقة في هذا المجال، وبما يفتح الله عليها من استنباطات وأفهام.

الفـصل الأول التـمـهـيـدي

القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ماذا خلق الله قبل خلق آدم (عليه السلام)؟

المبحث الثاني: القصص القرآني وأهميته.

المبحث الثالث: قصص الأنبياء في القرآن الكريم وأهميته

الفصل الأول التمهيدي

القصص القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل

ماذا خلق الله قبل خلق آدم (عليه السلام)

1. القلم: حيث ورد أن القلم هو أول المخلوقات، حيث ورد عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد)[1].
2. العرش: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أَن يخلق السماوات والأرض بخمسين أَلف سنة، قال: وعرشه على الماء)[2]، والمقصد من هذا الحديث تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ، لا أصل التقدير، فان ذلك أزلي لا أوّل له، وقوله: وعرشه على الماء، أي قبل خلق السماوات والأرض[3].
3. السماوات والأرض: خلق الله السماوات والارض وما بينهما في ستّة أيام، وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

---

[1] رواه الترمذي. سنن الترمذي، تحقيق الألباني، كتاب: القدر، باب: 17 ج4 ص457، وصححه الألباني، سنن الترمذي، ج3 ص123 حديث رقم 2645.

[2] مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، كتاب القدر، باب إثبات القدر، حجاج آدم وموسى (عليهما السلام)، ج4 ص2044 رقم الحديث 2653.

[3] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ ج16 ص 203.

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[1]، وقال: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)[2].

4. الماء: هو أوّل خلق الله وجوداً، لأنه أصلٌ لغيره من المخلوقات، حيث روى ابن حبان وابن ماجة من حديث أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: "كل شيء خلق من الماء".
5. الجنة والنار: خلق الله تعالى الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم أدخله الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم أدخله النار عدلاً منه[3].
6. الملائكة: قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[4] فهذه الآية دليل واضح على أن الله تعالى خلق الملائكة قبل خلق آدم (عليه السلام)، حيث تبيّن الآية أن الله أخبر الملائكة بأنه يريد خلق آدم (عليه السلام).
7. الجن: والدليل على أن الجن خُلقوا قبل آدم عليه السلام هو وجود إبليس – وهو من الجن – بين الملائكة عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)[5]

---

[1] (سورة: الأعراف) {آية:54}

[2] (سورة: هود) {آية:7}

[3] الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد سلامة. العقيدة الطحاوية، تحقيق: محمد بن صالح الشوّافي، دار الوطن للنشر، ط1، 2016م ج1 ص51.

[4] (سورة: الأنبياء) {آية:21}

[5] (سورة: الكهف) {آية:50}

المبحث الثاني

القصص القرآني وأهميته

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: تعريف القصة لغةً واصطلاحاً

تعريف القصة لغةً: جذرها (قصص)، وفعلها قصّ يقصّ، والقَصُّ فعل القاصّ إذا قَصَّ القِصَصَ، وقد ورد في معاجم اللغة العربية عدة معان للقصة، من ضمنها:

1. الجملة من الكلام: ونحوُه قوله تعالى: (نحن نَقُصُّ عليك أَحسنَ القصص)[1].
2. تتبّعُ الأثر: يقال: قَصَصْتُ الشيء إذا تتبّعْت أَثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: (وقالت لأُخْته قُصّيه)[2] أَي اتّبِعي أَثَرَه، وقوله تعالى: (فارتدّا على آثارهما قَصصاً)[3].
3. الخبر: يقال: قصّ عليّ خبَره يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً أَوْرَدَه، كما في قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ)[4].

والقَصَصُ (بفتح القاف) الخبرُ المَقْصوص، وُضع موضع المصدر حتى صار أَغْلَبَ عليه، والقِصَص (بكسر القاف) جمع القِصّة التي تكتب، وقيل هو تتبع الأَثر أَيَّ وقت كان[5].

ويُلاحظ ممّا سبق أنّ مادة قصص تقوم على التتبع، سواء كان التتبع مادياً لقصص العظام، وقصّ الشعر، وقصّ الأثر، أو كان التتبع معنوياً، كقصّ الأخبار، وقصّ الكلام.

تعريف القصّة اصطلاحاً: لقد كان للأئمة وعلماء التفسير تعريفاتهم المختلفة للقصّة في الشرع، من ضمنها:

---

[1] (سورة: يوسف) {آية:3}.

[2] (سورة: القصص) {آية:11}

[3] (سورة: الكهف) {آية:64}

[4] (سورة: القصص) {آية:25}

[5] أنظر: الراغب الأصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1412هـ، ص 671/ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب، ط3، 1414هـ، ج15 ص210

1. الإمام الفخر الرازي: (القصّة هي مجموعة الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرسل إلى الحق ويأمر بطلب النجاة)[1].
2. سيد قطب: (القصة وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء... والقصّة احدى وسائل الإبلاغ عن هذه الدعوة وتبنيها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة والنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البحث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفعلها والأشكال التي يضربها).[2]
3. ابن عاشور: حيث عرفها ابن عاشور (صاحب التحرير والتنوير) بقوله: (القصص: الإخبار بما جرى من الأمور، كأنّ الأنباء تتبع بالقول، وتقتصّ بالأخبار كما يقتص الآخر)[3].
4. الشيخ الشعراوي: حيث يوضّح مفهوم القصة في الاصطلاح بقوله: (كلمة "قصص" تدّل على أنّها حكايات لحركة العقيدة التي كانت مع كل الرسل والتاريخ، وهو ربط للأحداث بأزمانها، فمرةً نجعل الحدث هو المؤرخ له، ثم تأتي بأشخاص كثيرين يدورون حول هذا الحدث، ومرةً نجعل الشخص هو الأصل والأحداث تدور حوله، فإذا قلنا: كلمة "سيرة"، فنعني أنا جعلنا الشخص هو محور الكلام، ثم تدور الأحداث حوله، وإن أرّخنا للحدث، نجعل الحدث هو الأصل، والأشخاص تدور حوله)[4].

وترى الباحثة أنّ القصة القرآنية: هي كلّ خبر موجود بين دفّتَي المصحف، أخبر به اللّه تعالى رسوله محمداً (ﷺ) بحوادث الماضي، بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفراداً وجماعات.

المطلب الثاني: انواع القصص القرآني

من الممكن تصنيف القصص القرآني حسب عدة اعتبارات ومقاييس، يمكن أن نجملها فيما يلي:

1. باعتبار الطول والقصر: حيث يمكن حسب هذا الاعتبار تقسيم القصص القرآني إلى:
   أ. قصّة طويلة ترد مجزأة، ثم تتجمّع في موضع واحد كقصّة نوح.

---

[1] الفخر الرازي، محمد بن عمر. التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج 18، ص83.

[2] قطب، سيد. التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، د.ط، ص 143.

[3] ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، الدار التونسية، سنة 1984، ج12، ص202-204.

[4] الشعراوي، محمد متولي. قصص الأنبياء، دار التوفيقية للتراث، د.ط، ص4.

ب. قصة طويلة ترد مرة واحدة في مكان واحد، كقصة يوسف.

ت. قصّة قصيرة محتوية على بعض العناصر، كقصة النمل والهدهد، أو مُشتملة على كل عناصر القصّة إلّا انها قصيرة.[1]

2. باعتبار التكرار وعدمه: حيث يمكن حسب هذا الاعتبار تقسيم القصص القرآني إلى:

أ. أن تتكررَّ القصة الواحدة مرات عديدة في سور القرآن الكريم، حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحدٍ، بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدّة، وذكر بعض جوانب القصّة في موضع دون آخر، وهناك امثلة متعددة في القرآن الكريم على تكرار القصة، كقصة موسى وآدم (عليهما السلام).

ب. أن تردَ القصّة الواحدة في سورة قرآنية لمرّة واحدة ولا تتكرر بعدها، مثل قصة لقمان وقصة أصحاب الكهف[2].

وهناك حكم من تكرار القصّة في القرآن الكريم، يمكن اجمالها فيما يلي:

أ. بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصّة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يملَّ الإنسان من تكرارها، بل تتجدّد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأُخرى.

ب. قوة الاعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صور مُتعددة، مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدّي.

ت. الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار يدلّ على العناية بالقصة وأهمية الدروس المستقاة منها.

ث. اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصّة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معاني اخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الاحوال.

ج. مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية، وتجد الإطالة فيما أتى من القصص في السور المدنية.

---

[1] أبو شوفة، أحمد عمر. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2003، د.ط، ص209

[2] القطان، مناع بن خليل. مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف والنشر والتوزيع، ط3، 2000م، ص 309.

ح. ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض.[1]

3. باعتبار موضوع القصة القرآنية: حيث يمكن حسب هذا المعيار تقسيم القصة القرآنية إلى:

أ. القصة القرآنية التي تعرّضت إلى قصص الأنبياء، كقصة يوسف وادريس (عليهما السلام).

ب. القصة القرآنية التي تعرضت إلى قصص أشخاص ليسوا بأنبياء، كقصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الأخدود.

ت. هناك من يضيف نوعا ثالثا، وهو الأحداث التي وقعت في زمن النبي (ﷺ) من القصص.[2]

هذا وتشير الباحثة إلى كون قصة آدم (عليه السلام) التي هي موضوع رسالتها هذه، تُصنّف ضمن الاعتبار الأول: كقصّة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمّع في موضع واحد، كما سيتمّ توضيح ذلك عبر صفحات هذه الرسالة. وتصنّف ضمن الاعتبار الثاني: كقصة تتكرر مرات عديدة في سور القرآن الكريم. وتصنّف ضمن الاعتبار الثالث: كقصة قرآنية تعرضت إلى قصة نبي من الأنبياء.

المطلب الثالث: أهداف القصة القرآنية

القصة القرآنية لها أهداف مقصودة، يمكن اجمالها فيما يلي:

1. تعميق العقيدة في النفوس: حيث ركزّت القصّة القرآنية على وحدانية الله وعدله وقدرته وحكمته وحبه لعباده، وفي مجال الرسالة ركزّت على الصفات الخيّرة للأنبياء، ليكون للناس فيهم أسوةٌ وقدوةٌ، وكذا ركزت على اليوم الآخر وما سيكون فيه من أحداث.
2. السموّ بالإنسان: فالقصّة القرآنية سمت من خلال أحداثها بالإنسان، وميّزته عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات، وهذا السموّ لا يُركّز على جانب واحد، فهو سموّ روحيّ وخلقيّ ونفسيّ واجتماعيّ.

---

[1] عويس، عبد الرحمن محمد علي. القصّة في القرآن الكريم، بحث مُقدم في مادة علوم القرآن، د.ط، ص 7.

[2] الطاهر، علي عبد السلام. دراسة لأسلوب القصص القرآني، قصة يوسف (عليه السلام) نموذجا، د.ط، د.ت، ج1 ص15.

3. بيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد: فمن خلال القصص القرآني يمكن أن نستنبط الأسباب التي أدت بكثير من الأقوام إلى الهلاك والخسران، ونزول العذاب من الله عليهم، وقياس ذلك على كل الأقوام والجماعات في حاضر الأمم ومستقبلها.[1]
4. في هذا القصص كثير من الحقائق العلمية، المتعلقة بالكون والإنسان والحياة والأحياء في السماوات والارض.
5. القصّة القرآنية تزيد من بلاغة القرآن الكريم، بما فيها من رونق الأسلوب، وبديع النظم، وجمال الصورة، والمواقف، والتحليلات النفسية، والاستنتاجات الكامنة من وراء الأحداث.[2]
6. بيان أنّ الرسل جميعا أُرسلوا بدعوة واحدة، واثبات ترابط الدعوات الالهية واشتراكها في الدعوة إلى الله تعالى، واخلاص العبادة لله، واداء التكاليف التي أُنيطت بالناس.
7. تثبيت قلب النبي محمد (ﷺ): قال تعالى: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[3] وتخفيف ما أصابه من أذى قومه، وحثّه على الاقتداء بالأنبياء السابقين، قال تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)[4].
8. تصديق الأنبياء والتذكير بأحداث الأُمم الغابرة، والأقوام البائدة الذين حادوا عن صراط الهداية وهدى الأنبياء والمصلحين.
9. بيان أن القرآن من عند الله وانه مُعجز للبشرية، وأن ما اشتمل من قصص السابقين لا علم للرسول (ﷺ) به، وانما علّم من لدن الله (سبحانه وتعالى)، فالرسول صادق فيما يُبلغه عن ربه، قال تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)[5].

---

[1] سليمان، علي حسن محمد. القصّة القرآنية الخصائص والأهداف، ط1، 1415هـ، د.ط، ص 7.
[2] عباس، فضل حسن. القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته، د.ط، ص 15
[3] (سورة: هود) {آية:120}
[4] (سورة: الذاريات) {آية:52-53}
[5] (سورة: هود) {آية:49}

10. مقارعة أهل الكتاب بالحجّة فيما كتموه من البيّنات والهدى، قال تعالى: (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[1].

11. تنبيه الإنسان عن الغفلة والرقود، وابعاده عن مهاوي الانحراف.[2]

هذا وقد أشار القرآن أثناء حديثه عن القصص إلى ثلاثة أهداف لتلك القصص، ودعانا إلى أن نلتفت إليها، وان نحققها ونحن نقرأ تلك القصص، ونتدبرها ونتعامل معها:

الهدف الأول: هو قوله: (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) إنّ سماع قصص القرآن، والوقوف أمامه، وتدّبره، يقود إلى التفكّر، فالقرآن يريد منا أن نتفكّر ونتّعظ، كما في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)[3].

الهدف الثاني: هو قوله تعالى: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[4]، فتثبيت الفؤاد على الحق، واستعلاؤه بالحق على كل قوى الباطل، وإيثاره لما عند الله، ويقينه بوعد الله وبقاؤه مع جنود الله، ومواجهته لأعداء الله، واستمراره على هذا النهج حتى يلقى الله، كل هذه المعاني يأخذها المؤمن من قصص السابقين وأنباء الرسل[5].

وبالنظر إلى علاقة هذا الهدف بالنبي محمد (ﷺ)، فان القصة القرآنية تُخفّف الحزن والأسى عن رسول الله (ﷺ)، فهذا الشأن كان قوياً وعنيفاً، وكانت أسبابه واضحة جليّة، من كيد للنبي والقرآن والدعوة الإسلاميّة، وهذا أثّر بطريقة مباشرة في نفس النبي (ﷺ)، ودفعه إلى أن يضيق صدراً، فقد قال الله تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)[6].

الهدف الثالث: هو قوله تعالى: "(قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى، وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[7]، وهذه الآية الأخيرة في سورة يوسف، تدعونا إلى ملاحظة الهدف من قصة يوسف، التي ذُكرت في السورة كاملة[8]

---

[1] سورة: آل عمران) {آية:93}

[2] القطان. مباحث في علوم القرآن، ص 307.

[3] (سورة: سبأ) {آية:46}/ الخالدي، صلاح عبد الفتاح. قصص السابقين، دار القلم، د.ط، 1436هـ 2015م، ص 5-30.

[4] (سورة: هود) {آية:120}

[5] الخالدي. قصص السابقين، ص 5-30.

[6] (سورة: الحجر) {آية:97}/ الخالدي. قصص السابقين، ص 5-30.

[7] (سورة: يوسف) {آية:111}

[8] الدقور، سليمان محمد. القصص القرآني، دار النفائس للنشر، ط1، 2010م، ص13-16.

المطلب الرابع: منهجُ القصّة القرآنية وخصائصها

لما كانت القصّة القرآنية مُهمةً، بدليل أنّها اخذت حيزاً وافراً من القرآن الكريم، كان لا بدّ أن يكون لها منهجها وخصائصها وميزاتها التي تتّسم بها، وتستطيع الباحثة اجمالها بما يلي:

1. كونها قصصاً قرآنياً: فالقصّة القرآنية هي قرآنية في مضمونها وشكلها، وهي مُنسابة انسياباً طبيعياً في ثنايا القرآن الكريم، وموضوعاتها لا تخرج عن موضوعات القرآن الكريم، وأسلوب عرضها انطبع بطابع الإعجاز القرآني، سواء في معناه، بما حوته هذه القصص من موضوعات، أو في مبناه الذي اتسم بدقه في التصوير وبلاغة في اللفظ، وغيرها من صنوف اللغة[1].
2. القصص القرآني هو أحسن القصص (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)[2].
3. القصة القرآنية تشدُّ انتباه السامع، وتوقظ اهتمامه، دون توانٍ أو تراخٍ، فتجعله دائم التأمل في معانيها، والتشبع لمواقفها، والتأثير بخفياتها، وموضوعها حتى آخر كلمةٍ فيها.[3]
4. تتعامل القصّة القرآنية مع النفس البشرية في واقعيّتها الكاملة، مُتمثلةً في أهمّ النماذج التي يريد القرآن ابرازها للكائن البشري، ويوّجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميّته، فيعرض عرضاً صادقاً يليق بالمقام ويُحقّق الهدف التربوي من عرضه.[4]
5. تُربّي القصّة القرآنية العواطف الربانيّة، وذلك:
   أ. عن طريق إثارة الانفعالات بالخوف والترقبّ، وكالرضا والارتياح والحب، وكالتعزّز والكره، وكل ذلك يُثار في طيّات القصّة، بما فيها من وصف رائع ووقائع مصطفاة.
   ب. عن طريق توجيه جميع هذه الانفعالات، حتى تلتقي عند نتيجة واحدة، هي النتيجة التي تنتهي إليها القصّة[5].
   ت. عن طريق المشاركة الوجدانية، حيث يندمج القارئ مع جوّ القصة العاطفي، حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها.[6]

---

[1] سليمان. القصّة القرآنية، ص 130.

[2] (سورة: يوسف) {آية:6}

[3] خلف الله، محمد أحمد. الفن القصصي في القرآن الكريم، سينا للنشر، بيروت، ط4، 1999م، ص 320.

[4] عبد الله، عبد الرحمن داوود جميل. منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، رسالة ماجستير، ص17.

[5] سليمان. القصّة القرآنية الخصائص والأهداف، ص 130.

[6] الظواهري، كاظم. بدائع الاضمار القصصي في القرآن الكريم، ط1، 1991م، ص52 وما بعدها.

6. تمتاز القصّة القرآنية بالاقتناع الفكري بموضوع القصّة:

أ. عن طريق الإيحاء، والاستهواء والتقمّص، ففي قصّة يوسف (عليه السلام) وصبره على الحُبّ وعلى الوحشة، لما تثبت في دار امرأة العزيز على محاربة الفاحشة والبُعد عن الزلل.[1]

ب. عن طريق التفكير والتأمل، فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية ينتصر فيها الحقّ، ويُصبح مرموقاً محفوظاً بالحوادث والنتائج التي تُثبت صحته، وعظمته في النفس وأثره على المجتمع.[2]

7. القصّة القرآنية تجمع في آنٍ واحد بين قصص الصالحين وقصص الآخرين، وتُبيّن نتيجة كلّ منهما، فهي حينما تقصّ علينا مثلاً قصّة رسول أو نبي أو داعٍ من الدعاة، وكيف أتى التعب والارهاق والمشقة في بادئ الأمر، ثم جاء نصر الله له فأيّده ورعاه وهداه وأعزه، تسرع فتقابل هذه الصورة بصورة الذين شقوا، والذين غرّتهم الحياة الدنيا وغرّهم بالله الغرور، فطغوا وبغوا، وأخذتهم العزة بالإثم، ثم لم يكن زمن قليل، وجاءهم بعده عذاب الله الذي لا يُردّ، فكان أمرهم كافة خساراً وبواراً.[3]

8. انتقاء الأحداث في القصّة: لقد غلبت على القصص القرآني صفة الانتقاء في الأحداث، والإعراض عن بعضها جملة وتفصيلاً، أو بإحالة إلى موضع آخر من السورة أو سورة أُخرى، والعلّة الكبرى الكامنة وراء هذه الخصيصة هي علة التناسب السالفة، لأنّ القرآن الكريم ليس كتاب قصص وتسلية، وليس كتاب تاريخ، حتى يأتي بالقصّة بحذافيرها كهدف من أهدافه، وانما للقصّة وظيفة في القرآن الكريم[4].

9. الاقتصار على الهدف الديني: فالقصّة القرآنية لا تَرِدُ في القرآن بمقامها دفعة واحدة، بل تقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تُساق لأجله، بعيداً عن الأمور التي لا ينفع العلم بها ولا يضر الجهل بها، فمرة تُعرض القصّة من أولها، ومرّة من وسطها، ومرة من آخرها، حينما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذلك، باعتبار أن الهدف الديني هو الأول في سَوق القصّة.

---

[1] مشيل، صابر. القصّة القرآنية مفهوماً وإسلوباً، د.ط، ص 54.

[2] التهامي نقره، سيكولوجية القصّة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1974م، ص 142.

[3] خالد سليمان عبد. الدلالات الشخصية في القصص القرآني، رسالة ماجستير، تاريخ المناقشة 1999م، ص 48 وما بدها.

[4] الخطيب، عبد الكريم. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، 1975م، ص212.

10. اشتمال القصّة القرآنية على العبر والعظات: إن الاعلان عن التوجيهات والعظات المُستخرجة في ثنايا القصّة أو قبلها أو في ختامها، يُعدّ من منهج القصّة في القرآن.[1]

11. التكرار: يُلاحظ بأنّ هناك قصصاً في القرآن قد تكررت، وقصصاً لم تُكرَّر، ولعل سر عدم تكرار هذه القصص أنها سيقت لإخبار الرسول(ﷺ) بأمر يجهله، وعلم النبي يثبت من أوّل وهلة فلا داعي للتكرار[2]، ومثال ذلك قصة يوسف (عليه السلام)، التي أخبرت النبي (ﷺ) بما في الطبائع البشرية من حرص على الشر، وذلك في قصّة يوسف مع إخوته، وكيف ألقوه في الجب، ثم نجاته ومراودة امرأة العزيز له، ولعلّ هناك سبباً آخر لعدم تكرار قصة كقصة يوسف (عليه السلام)، وهو حرص الإسلام على صيانة الاعراض، حيث إنّ القصّة فيها محاولة اغراء على جريمة خُلقية، لذلك فرغ القرآن من سَوقها للاعتبار مرّةً واحدة.[3] أما القصص التي تكررت في اكثر من موضع، فلعلّ العلّه الظاهرة في هذا التكرار هو تثبيت رسول الله في دعوته، وحمله على ان يصبر على إيذاء قومه[4].

---

[1] قطب، سيد. التصوير الفني. ص 155، 162-168/ باحاذق، عمر. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، ط1، 1913هـ -1993م، ص33/ زرزور، عدنان. علوم القرآن، المكتب الاسلامي، ط1، 1410هـ-1981م، ص382/ المطعني، عبد العظيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ-1999م.

[2] باحاذق، عمر. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، ص35.

[3] المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ-1999م.، ص 1-33.

[4] باحاذق، عمر. الجانب الفني في قصص القرآني، ص 91.

المبحث الثالث:

قصص الأنبياء في القرآن الكريم وأهميته

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: استعراض لقصص الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم

من خلال استقراء الباحثة للآيات القرآنية التي أوردت قصص الأنبياء، ترى أن القرآن الكريم نهج في عرضه للقصص القرآني أساليب ثلاثة:

1. الأسلوب التفصيلي: فقد تحدّث القرآن الكريم بصورة تفصيلية عن مجموعة من قصص الأنبياء والمرسلين، من ضمنها قصّة آدم (عليه السلام)، التي تناولتها الباحثة في هذه الرسالة، ومنها أيضاً قصّة إبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام)، ومجموعة من الأنبياء والمرسلين، ويمكن تقسيم هذا الأسلوب التفصيلي إلى المراحل التالية:
   أ. مرحلة بعثة الأنبياء.
   ب. مرحلة دعوة الأنبياء لأقوامهم.
   ت. ردّة فعل الأقوام للأنبياء.
   ث. مرحلة إنزال العذاب.
2. الأسلوب الإجمالي: حيث تكلم القرآن الكريم عن مجموعة أخرى من قصص الأنبياء بشكل اجمالي، ولم يفصّل في قصصهم، مثل قصة ذي الكفل.
3. الأسلوب الإشاري: حيث بيّن القرآن الكريم أنّ هناك أنبياء ومرسلين لم يذكرهم بالاسم، كما قال تعالى: (وإن من أمة الا خلا فيها نذير)[1]، وقال أيضا: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)[2].

---

[1] (سورة: فاطر) {آية:24}

[2] (سورة: النحل) {آية:36}

المطلب الثاني: أهمية قصص الأنبياء والمرسلين

القصّة القرآنية تختلف عن القصة الأدبية شكلاً ومضموناً، إذ لا دخل للخيال والاسطورة في تكوينها، فأخبار القرآن الكريم وثائق تاريخية لا تشوبها شائبة، ولا شكّ في صدقها وانطباقها على الواقع التاريخي الصحيح، وقصص أنبياء الله تعالى ورسله من لدن آدم أوّل البشر إلى سيدنا محمد (ﷺ) فيها المواعظ والعبر، لما احتوت عليه من تعاليم لمبادئ الصبر والعطاء والجهاد والثبات على الحق في تبليغ رسالات الله تعالى[1].

إنَّ قصص الأنبياء جاءت في كتاب الله عبرة وعظة لمن كان له عقل يتفكّر به. يقول تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[2]).

فالأنبياء (عليهم السلام) هم مصابيح الهدى، والأسوة والقدوة أرسلهم الله ستراً ولإنقاذ البشرية، كلّما واجهت انحرافا جاء الأنبياء والرسل لينقذوها ويصححوا المسار[3].

إنَّ مهمة الأنبياء في نفع البشرية لم تنته بانتقالهم إلى الرفيق الأعلى، بل استمر تأثيرهم ودورهم في الناس من خلال قصصهم وسيرتهم المليئة بالدروس والعبر.

فأصحاب العقول والأفهام على مر العصور يتلمسون العبر من قصص الأنبياء، فهي نبراس يهتدى بها في خِضمّ هذه الحياة، فقصصهم تربوية وتوجيهية وتعليمية، ومن سماتها استمرارية الموعظة وديمومة العبرة، وإذا أردنا أن نُجمل تلك العبر نقول:

1- إنّ الله أرسلهم رحمة لخلقه، ليصلحوا منهم ما فسد، ويُعيدوا منهم من حاد وابتعد، فكل نبيّ بَشّر وحَذّر وحاور وأعذر، وجاءهم بالحجّة والدليل، فعلى المسلم أن يستلهم من سيرة الأنبياء الشخصية الإنسانية المتزنة، التي تعمل على البناء، وتحب العطاء، وتبذل الوقت والجهد لخدمة الناس ونفعهم.

---

[1] أبو عزيز، سعد يوسف. قصص القرآن دروس وعبر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1334هـ-2013م، ص9.

[2] (سورة: يوسف) {آية:111}

[3] الشريف، فاطمة جمال الدين. من كنوز القرآن الكريم، ط3، 1420هـ - 2000م، ص 15-20.

2- اهتمّ القرآن بسيرة الأنبياء (عليهم السلام)، وقَصَّ علينا قصصهم، من أجل تحقيق فوائد جمة وغايات مهمة، (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)[1]، فهي دعوة لتثبيت قلب كل صاحب رسالة، وكل حامل مسئولية، أن يثبت أمام العقاب، وأن لا يتراجع أمام العقبات، وأن لا يتخلى عن مهمته ومسؤوليته في سبيل تحقيق النفع العام وخدمة وطنه ومجتمعه.

3- إنّ الأنبياء أخوة، ودينهم واحد، ومنهجهم واحد، وكلهم دعوا إلى توحيد الله وعبادته، جميعهم أمروا بمكارم الأخلاق ونهوا عن فاحشها وسيئها، وإن تصديق واحد منهم هو تصديق للجميع، وتكذيب واحد منهم هو تكذيب للجميع، ولا يُقبل إيمان إلا بالإيمان بهم جميعا.

4- قصص الأنبياء (عليهم السلام) واقعية حقيقية، لا خيال فيها ولا وهم، ولا تغيّير ولا تحريف، لذلك سماها الله أحسن القصص، لما تقدمه للبشرية من نماذج انسانية راقية، لأنبياء عاشوا بشريتهم، ومارسوا انسانيتهم، فجرى عليهم ما يجري على الإنسان العادي من ظواهر وعوارض طبيعية[2].

وترى الباحثة من خلال استعراضها للقصص القرآني، بأن قصّة كل نبي من الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم بأسمائهم، وهم خمسة وعشرون نبيا ورسولاً، تحمل عبراً كثيرة ودروساً جليلة، علينا أن نقف عندها، لنستلهم منها ما ينفعنا في حياتنا وبيوتنا وأعمالنا، وفي دنيانا وأخرانا، فمنهم نتعلم كيف نُربي اولادنا على القيم السامية والأخلاق الراقية، ومنهم نتعلم كيف نتعامل مع أزواجنا بتكريم ومودة، ومنهم نتعلم كيف نبرّ آباءنا وأمهاتنا ونسعى لنيل رضاهم، ومنهم نتعلم كيف يجب أن نجتهد لنتعلم ونتأدب مع من يُعلّمنا ويحسن إلينا، وغير ذلك الكثير، وهذا ما سيكون -بإذن الله- من خلال عرض قصة آدم (عليه السلام) في الفصل القادم من هذه الدراسة.

---

[1] (سورة: هود) {آية:120}

[2] أبو عزيز. قصص القرآن دروس وعبر، ص9/ الخالدي. قصص السابقين، ص29.

الفصل الثاني

قصة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: أصل تسمية آدم وحواء

المبحث الثاني: خلق آدم (عليه السلام) وزوجه

المبحث الثالث: تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء

المبحث الرابع: أمرُ الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)

المبحث الخامس: تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام)

المبحث السادس: سكن آدم وحواء الجنة

المبحث السابع: نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما

المبحث الثامن: هبوط آدم وحواء إلى الأرض

المبحث التاسع: توبة الله على آدم واستخلافه في الأرض

الفصل الثاني: قصّة آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: أصل تسمية آدم وحواء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصل تسمية آدم

الهمزة والدال والميم أصل واحد، وهو الموافقة والملائمة، يقال: آدم الله بينهما، يأدم أدما، وآدم الله بينهما، يؤدم إيداما، أي: حبل المحبة والاتفاق بينهما، ومنه ما ورد في الحديث عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج امرأة، فقال له النبي (ﷺ): (اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)[1] والأَدمة: الخلطة، يقال: بينهما أُدمة ومُلحة، أي: خُلطة، ويقال: أَدمتُ بين الشيئين إذا خلطت بينهما. والأُدمة: الوسيلة إلى الشيء، يقال: فلان أُدمتي اليك، أي وسيلتي اليك، وذلك لأن المخالف لا يتوسل به. والأَدَمَةُ: الأُسوةُ والقدوةُ، يقال: جعلت فلانا أَدَمَةَ أَهلي، أي: أُسوتهم، لأنه إذا فعل ذلك فقد وفّق بينهم. والأَدَمَةُ: باطن الجلد الذي يلي اللحم، والبشرة ظاهرها، لأنها أحسن ملائمة للحم من البشرة، وأديم كل شيء ظاهر جلده، وأدمة الأرض وجهها، قال الطبري في تفسيره: " ولذلك سُمي آدم، لأنه أخذ من أديم الأرض"[2]. والإدام والأَدْم: ما يؤتدم به مع الخبز[3]، ومنه ما ورد في الحديث عن عائشة (رضي الله عنها)، أن النبي (ﷺ) قال: (نعم الإدام الخل)[4]

هذا وقد اختلف اهل اللغة في كلمة آدم الذي سمي به أبو البشر على قولين:

---

[1] ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، د.ط، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب النكاح، باب: النظر الى المرأة إذا اراد أن يتزوجها، ج1 ص599 حديث رقم: 1865. وقال الألباني: "حديث صحيح".

[2] الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة، ط1، 1422هـ - 2001م ج1 ص481.

[3] ابن منظور. لسان العرب، ص44/ أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة 1420هـ ج1 ص223

[4] مسلم. صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل والتأدم به، ج3 ص1621 رقم الحديث 1051.

الأول: إنّ آدم كلمة أعجمية، لا اشتقاق فيه، وأقرب أمره أن يكون على وزن فاعل بفتح العين، وهذا كثير في الأسماء، مثل: آزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك.

وإن اشتقاق آدم من الأدْمَة أو الأَدَمَة بالفتح بمعنى الأُسوة، أو من أديم الأرض وهو وجهها، أو من الأدم أو الأُدْمَة -بمعنى الألفة- لا يخلو من التعسف، كاشتقاق إدريس من الدرس، ويعقوب من العقب، وإبليس من الإبلاس، واسرائيل من الإسرال.

فمن ادعى الاشتقاق في كلمة آدم، وزعم أنها على وزن أفعل فغير صواب، لأنه قد نص التعريفيون على أن الاشتقاق انما يكون من الالفاظ العربية، ولا يكون في الأسماء الأعجمية.[1].

واستُشهد له بجمع آدم على "أوادم" بالواو لا "أآدم" وبتصغيره على "اويدم" لا "أأيدم". لأن الجمع المكسَّر والتصغير كل واحد منهما يرد الكلمات إلى أصلها، ووجود الواو في جمع التكسير وفي التصغير وعدم وجودها في أصل مادة كلمة "آدم" يُشعر بأن الكلمة غير عربية[2].

الثاني: أن آدم كلمة عربية، واختلفوا في بيان وزنها، وما أُشتقت منه، وبيان وجه تسمية "آدم" بها: فقال بعضهم: إن كلمة "آدم" على وزن فاعل مثل: خاتم وطابق وعالم، وهو مُشتقّ من أديم الأرض، وهو وجهها، وسُمّي به لأنه خُلق من أدمة الأرض وترابها. وقال آخرون: ان كلمة "آدم على وزن "أفعل"، وأصله " أأدم" بهمزتين، اجتمع في كلمة همزتان، وتحركت أولاهما وسُكنّت ثانيهما وجب التخفيف، وذلك بإبدال الثانية مدّة تجانس حركة الأولى، فقُلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفاً، فصار "آدم" نحو: "آخر" و "آدر" واصله "أأخر" و"أأدر" فقلبوا الهمزة الثانية الساكنة ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها. وقال آخرون: ان كلمة آدم على وزن " أفْعَل" من باب إفعال، أي: آدم يودم إيداما، فآدم ليس بصفة وصف، وإنما هو فعل ماض رباعي بالزيادة، سمي به ابو البشر، كما سُمّي أحمد من الإحماد، وأسعد من الإسعاد، فلذلك لم يجرّ، ثم نقل من الفعل، فجعل اسما للشخص بعينه. هذا ما ذهب اليه ابن جرير الطبري[3]، وأبو حيان[4].

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط.، ج1 ص124/ بو حيان. البحر المحيط في التفسير، ج1 ص223.

[2] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ ج1 ص225

[3] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص511.

[4] ابو حيان. البحر المحيط في التفسير، ج1 ص221

وترى الباحثة أنَّ أبا البشر آدم سمي بهذا الاسم قبل أن توجد هذه اللغات، إذ سمّاه الله (سبحانه وتعالى) بهذا الاسم قبل أن يُنزله إلى الأرض، واللغات التي يتكلم بها الناس وُجدت بعد ذلك، فالله أعلم حقيقة كلمة آدم الذي سُمّي به أبو البشر في عالم الغيب، ولكن نحن نبحث عن هذه الكلمة التي بيّنها الله في كتابه وعلى لسان رسوله، فعندما ننظر إليها حسب قواعد اللغة العربية وضوابطها فيترجح لدينا أن أصل هذه الكلمة أعجمية، ثم إنّها وقعت للعرب فعرّبتها بألسنتها، وحَوّلتها من الفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، فهي قبل التعريب كانت أعجمية، وبعد التعريب أصبحت عربية، ويكفي استخدام القرآن لها دليلا على عربيّتها، ولعلّها تكون من الألفاظ المشتركة بين اللغات.

المطلب الثاني: أصل تسمية حواء

حواء هي زوج آدم (عليه السلام)، وهي من الجذر (حوا)، والحُوَّةُ: سواد يميل إلى الخُضْرة، وقيل: حُمْرةٌ تَضْرب إلى السَّواد، يقال: رجل أَحْوَى وامرأَة حَوَّاءُ[1].

وفي سبب تسميتها هناك ثلاث روايات للعلماء:

الأول: لأن حوّاء كانت أدمة البشرة أي سمراء، قال بذلك ابن منظور، حيث أخذ ذلك من الأصل اللغوي لكلمة حواء، حيث قال: أنّها مشتقة من الحوّة وهي سمرة الشّفاه، وتطلق كذلك على اللّون الأحمر المائل إلى السّواد والسّمرة[2].

الثاني: لأن حواء أم لكل حيّ، روى ذلك الإمام النّووي في شرح صحيح الإمام مسلم روايةً عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، "أنّ حوّاء سمّيت بهذا الاسم لأنّها أمّ كلّ حيّ، فجميع البشر قد أتوا من ذرّية من حملت به حوّاء، وقد ولدت لآدم (عليه السلام) -كما يُروى- أربعين مولودًا في عشرين بطنًا، فقد شاء الله تعالى أن تحمل حوّاء في كلّ بطنٍ زوجين من الذّكر والأنثى، وكان من عادة آدم (عليه السلام) أن يُزوّج ذكر كلّ بطنٍ من أنثى بطن آخر حرصًا على التّغريب ما أمكن[3]. ومنه ما ورد عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء،

---

[1] ابن منظور. لسان العرب، ج14 ص206.

[2] المصدر السابق ج14 ص206.

[3] النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج10 ص59.

وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني، فقال لها رسول الله (ﷺ): (أنت أحق به ما لم تنكحي)[1]

الثالث: لأن حواء خُلقت من حيّ، روى ذلك كثير من المفسرين، منهم الإمام القرطبي[2] وابن كثير[3] والطبري[4]، حيث أورد القرطبي روايةً تقول إنّه "بينما كان آدم (عليه السلام) جالسًا وحده، خلق الله من ضلعه زوجه حوّاء من دون أن يشعر، ولمّا انتبه إليها سألته الملائكة عنها فقال: هذه امرأة، وسألته عن اسمها فقال: هي حواء، فقيل له لم ذلك؟ فقال: إنّها امرأة لأنها خلقت من المرء، وهي حوّاء لأنّها خلقت من حيّ، وقد حصل هذا الحوار بين الملائكة وآدم (عليه السلام) في سبيل تجربة علمه"[5]. ويُفهم من هذه الرواية أن آدم (عليه السلام) هو الذي أسمى زوجه حواء بهذا الاسم.

وترى الباحثة أن لا تعارض بين الأقوال الثلاثة: فالقول الثاني والثالث متقاربان، فحواء خُلقت من حيّ وهي أيضا أم لكل حيّ، أما القول الثالث فهو مأخوذ من الأصل اللغوي، وهو ممكن أيضا، وبخاصة إنّه لم يثبت في سبب تسمية حواء أي شيء عن رسول الله (ﷺ).

---

[1] أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داوود، تحقيق: الألباني، دار الفكر، د.ط كتاب: الطلاق، باب: من أحق بالولد، ج ص251 حديث 2278، وقال عنه الالباني في التعليقات على الكتاب: حديث حسن.

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط1423هـ – 2003م، ج1 ص339.

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ – 1999م، ج1 ص234.

[4] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص513.

[5] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص339.

المبحث الثاني: خلق آدم (عليه السلام) وزوجه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول خلق آدم (عليه السلام) وزوجه

ورد في القرآن الكريم عدة آيات تحدثت عن خلق آدم (عليه السلام) وزوجه، وهي:

1) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)[1].

2) (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ)[2].

3) (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)[3].

4) (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليس لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)[4].

5) (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ، وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)[5].

6) (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ)[6].

7) (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)[7].

8) (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ)[8].

9) (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)[9].

10) (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[10].

---

[1] (سورة: النساء) {آية:1}

[2] (سورة: الأنعام) {آية:2}

[3] (سورة: الأنعام) {آية:98}

[4] (سورة: الأعراف) {آية:11-12}

[5] (سورة: الحجر) {آية:26-28}

[6] (سورة: النحل) {آية:4}

[7] (سورة: الاسراء) {آية:61}

[8] (سورة: المؤمنون) {آية:12}

[9] (سورة: الفرقان) {آية:54}

[10] (سورة: السجدة) {آية:7-8}

11) (وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا[1]).

12) (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ)[2].

13) (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)[3].

14) (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ)[4].

15) (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ)[5].

16) (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)[6].

17) (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[7].

هذا ويمكن من خلال استعراض هذه الآيات الإشارة إلى عدة أمور تتعلق بقضية خلق آدم وزوجه:

1) خلق آدم (عليه السلام)، وبيان أقوال المفسرين، ونفي شبهة التناقض:

بنظرة تأملية في الآيات التي تحدثت عن خلق آدم (عليه السلام)، نجد أن ذلك قد مَرَّ بمراحل مُتعددة، مرحلة تلو المرحلة، بدأت بالتراب الذي أُضيف إليه الماء فصار طينا، ثم أُخذ من هذا الطين سلالة، وهي الزبد، الذي يُعدُّ أجود عناصر الطين وأنواعه[8]، ثم جفَّ هذا الطين جفافاً نسبياً حتى صار لازباً أي متماسكاً، مُلتصقا بعضه ببعض، فهو وسط بين السيولة والصلابة[9] ثم تحوَّل هذا الطين بعد فترة إلى (حمأ مسنون)، والحمأ هو الطين الأسود، والمسنون هو المتغيّر المُنتن بسبب التفاعل الكيميائي، فلما يبس هذا الطين من غير أن تمسّه النار سُمّي (صلصالاً)، لأَنَّ الصلصال هو الطين اليابس الذي تمسّه النار، وسُمّي صلصالاً لأنه يصلُّ، أي: يصوّت من يبسه، أي: له صوت ورنين،[10] وقد شُبّهت طينة آدم في يبسها وصلصلتها بِـ (الفخار)، لأَنَّ الفخار كما يقول المختصون: لا يُصنّع ولا يتكوّن إلا

---

[1] (سورة: فاطر) {آية:11}

[2] (سورة: يس) {آية:77}

[3] (سورة: الصافات) {آية:11}

[4] (سورة: ص) {آية:71}

[5] (سورة: غافر) {آية:67}

[6](سورة: الرحمن) {آية:14}

[7](سورة: المرسلات) {آية:20}

[8] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ- 1974م ج3 ص21/ الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي- الخواطر، مطابع أخبار اليوم، د.ط، ج16، ص9978.

[9] ابن منظور. لسان العرب، ج1 ص733

[10] ابن منظور. لسان العرب، ج1 ص61

من طين غني بالعناصر التي يتركّب منها الإنسان وينشأ منها النبات.[1] تلك هي مراحل خلق الإنسان الأوّل آدم (عليه السلام)، توالت فيها وتتابعت وتكاملت معاني المصطلحات: التراب، والماء والطين بمراحله، والحمأ المسنون والصلصال[2].

وليس هناك تعارض البتّة بين الآيات التي تتحدث عن مادة خلق الإنسان، فإنَّ بعضها يتحدث عن خلق آدم، وبعضها الآخر يتحدث عن خلق ذريته، فأما عن خلق آدم فإنَّ آيات القرآن الكريم تتحدث عن مراحل خلقه، لكن في آيات مُتعددة، وترتيب هذه المراحل كالآتي: (تراب، ماء، طين، سلالة من طين، طين لازب، صلصال من حمأ منون، صلصال كالفخار)، وأمّا عن خلق ذرية آدم فإنها قد مرّت بمراحل أيضاً، لكنها تختلف عن مراحل خلق آدم (عليه السلام) وهي كالآتي: (النطفة، العلقة، المُضغة، العظام، كسوة العظام باللحم، الإنشاء خلقاً آخر)، وهذه المراحل جاءت مُجملة في مواضع ومُفصلة في مواضع أُخرى، حسب ما يقتضيه السياق، فلا تناقض بينها.

فليس هناك أدنى تناقض بين ما جاء في القرآن الكريم من معلومات عن خلق الإنسان، وإنما يوجد ما يوهم التناقض وسرعان ما يزول بالعلم، وحتى يتضح ذلك يلزم أن يكون هناك منهج علمي في رؤية هذه المعلومات، التي جاءت في عديد من آيات القرآن الكريم، وهذا المنهج العلميّ يلزم جمع هذه الآيات والنظر إليها في تكاملها، مع التمييز بين مرحلة خلق الله للإنسان الأول آدم (عليه السلام)، ومرحلة خلق ذريته التي توالت وتكاثرت بعد خلق حوّاء واقترانها بآدم، وحدوث التناسل عن طريق هذا الاقتران والزواج، وهناك آية جمعت بين خلق آدم (عليه السلام) وخلق ذريته وهي: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)[3].

ولتوضيح عدم وجود تناقض بين الآيات فيما يتعلق بمادة خلق آدم (عليه السلام)، أنقل بعض أقوال المفسرين في هذه القضية: قال الزمخشري: "فإن قلت: قد اختلف التنزيل في هذا ... قلت: هو مُتفق المعنى، ومفيد أنه خلقه من تراب: جعله طينا، ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصالاً"[4].

---

[1] انظر: قصة آدم عليه وعلى نبينا السلام، مقال منشور بموقع: www.garam.sy.com مراحل خلق آدم (عليه السلام)، مقال منشور بموقع: كنوز الحروف www.Knooz.com

[2] مرزوق، عبد الصبور وآخرون، حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين، وزارة الأوقاف، مصر، ط1، سنة 1423هـ - سنة 2002م، ص156-157.

[3] (سورة: المؤمنون) {اية:12-13}

[4] الزمخشري. الكشاف، ج4، ص445.

وهذا ما أكدّه القرطبي في تفسيره حيث قال: "ذلك مُتفق المعنى، وذلك أنه أَخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار"[1].

ويقول الشعراوي: "لا تعارض بين هذه الأقوال -بمعنى: الآيات التي تتحدث عن خلق آدم (عليه السلام)-، لأنها أطوار للمادة الواحدة، وهي التراب، كالثوب الذي تلبسه فتقول: هذا الثوب من القطن، أو من الغزل، أو من النسيج، فهي مراحل تمرّ بها المادة الواحدة، فليس في هذا تناقض في المراحل، إنما التناقض في أن يكون الشيء مرتبة واحدة، ثم تجعله مراتب، إنما هذه المسألة مراحل للمرتبة الواحدة، كالطفل يصير غلاماً، ثم شاباً، ثم رجلاً، ثم كهلاً... كلها مراحل لإنسان واحد.[2]

وقد ذكر هذا أيضاً كثير من المفسرين[3] ولم يذكر أحد منهم خلافه.

وعليه، فلما كان تنقّل خلق آدم (عليه السلام) من تراب إلى طين، بمراحله إلى حمأ مسنون إلى صلصال كالفخار، ناسب ذلك أن يُنسب خلقه إلى كل واحد من هذه المراحل، التي يقول عنها ابن القيم: "هذه أطوار للتراب الذي هو مبدؤه الأوّل"[4].

هكذا شاءت ارادة الله أن يخلق جسم آدم طوراً بعد طور، ولم يخلقه في لمح البصر، مع أنه (سبحانه وتعالى) قادر على كل شيء، كل ذلك لحكم لا يعلمها إلا الخالق (سبحانه وتعالى)، كما خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها دفعة واحدة[5].

2) خلق ذرية آدم:

كما تحدث القرآن عن مراحل خلق آدم، تحدث أيضاً عن مراحل خلق ذريته، مُفصلاً في مواضع، ومُجملاً في مواضع أخرى، بذكر مرحلة أو أكثر حسب ما يقتضيه السياق.

---

[1] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج17 ص161

[2] الشعراوي. تفسير الشعراوي، ج20، ص12444-ص12445.

[3] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج8 ص243.

[4] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدين، القاهرة، د.ط، ج1، ص29.

[5] أحمد شوقي إبراهيم. موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء: أطوار الخلق وحواس الإنسان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1423هـ - سنة 2003م، ص30.

فمن الآيات المُفصلة في ذلك قوله (سبحانه وتعالى) (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[1].

والآيات التي تتحدث بصورة مُجملة عن هذا الخلق هي كثيرة منها: قوله تعالى: (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ)[2] وقوله: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)[3].

وقوله: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[4] وقوله : (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[5] وقوله: (خُلِقَ مِنْ مَاء دَافِق)[6] وقوله: (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ)[7].

وقد أثبت العلم حديثاً من خلال التحليل الكيمائي أن جسم الإنسان يُشبه في تكوينه تراب الأرض، حيث يحتوي على عناصر كثيرة، منها: الأكسجين والكربون والهيدروجين ...، وهذه العناصر وغيرها هي المكونة لتربة الأرض، وهذا يعني أن الإنسان مخلوق من تراب الأرض وطينها، يؤكد هذا أن شفرة كل إنسان مُستمدة في الأصل من شفرة أبي البشرية آدم، كما يقول علماء الوراثة، وكذا تغذية الإنسان في جميع مراحل خلقه وحياته على نباتات الأرض أو الحيوانات التي تتغذى عليها، كما يؤكد ما سبق موت الإنسان، حيث يتحلل جسده بطريقة عكسية لعملية الخلق فيصير ترابا كما بدأ[8].

كل هذه الحقائق العلمية قد أشار إليها القرآن الكريم وطرحها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن، وذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ)[9].

والمتأمل في هذه الآيات المُجملة يُدرك أنَّه لا تعارض بينها البتة، "فالنطفة" في الآية الأولى هي ماء الرجل وماء المرأة التناسلي[10]، أمّا "النطفة الأمشاج" في الآية الثانية، فهي النطفة المختلطة من ماء

---

[1] (سورة: المؤمنون) {اية:12-14}

[2] (سورة: النحل) {آية:4}

[3] (سورة: الانسان) {آية:2}

[4] (سورة: المرسلات) {آية:20}

[5] (سورة: السجدة) {آية:8}

[6] (سورة: الطارق) {آية:6}

[7] (سورة: العلق) {آية:2}/ النجار. زغلول، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2، سنة 1431هـ - 2010م، ج2، ص158.

[8] النجار. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ج2، ص158.

[9] (سورة: الروم) {آية:20}

[10] الشنقيطي، محمد أمين. أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، سنة 1415هـ - 1995م، ج24، ص90/ النجار. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2، سنة 1431هـ - 2010م، ج2، ص158.

الرجل وماء المرأة[1] وأمّا "الماء المهين" في الآية الثالثة، فهو وصف لكل من نطفة الرجل ونطفة المرأة، وذلك لقلته وضعفه[2]، الذي لا يُعبأ به، فهو ماء يراق ويُدفق، ويُهان ولا يُكرم، حتى يشاء الله تعالى لجزء منه القيام بالدور الذي خلق من أجله وهو التكاثر[3].

وأمّا قوله تعالى: (مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[4] في الآية الرابعة، فيعني أن الإنسان خُلق من خلاصة كل من ماء الرجل والمرأة[5] ومن ثَمّ، فهذه الآية الكريمة تُعدُّ توضيحاً وبياناً شافياً للآية السابقة: (مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[6]، فالقرآن الكريم يوضح بعضه بعضاً. وأمّا المقصود بكلمة (الماء) في الآية الخامسة، فهو ماء الرجل وماء المرأة التناسلي، على أحد قولي التفسير المحتملين في هذه الآية[7]، لذا فلا يصح لأحد أن يُخطّئ القرآن في إطلاقه لفظ (الماء) هنا، لأنه قد جاء موضحاً ومُفسراً في آيات أخرى. وأمّا "الماء الدافق" في الآية السادسة، فهو أيضاً ماء الرجل وماء المرأة التناسلي[8] وسمي دافقاً، لأَنَّ كلاً منهما يخرج من مصدره مُتدفقا[9]، ونلحظ في الآيات السابقة أن الله أفرد كلمة (ماء) ولم يُثنّها، مع أنَّ المراد بها كلا الماءين: ماء الرجل وماء المرأة، وذلك لامتزاجهما أثناء عملية التخصيب،[10] كما هو معروف طبياً.

وأمّا الآية السابعة فإن الله قد ذكر فيها أن الإنسان خُلق من (علق)، وهي المرحلة التي تلي مرحلة النطفة الأمشاج، وقد ذكر الله في هذه الآية العلقة، ولم يذكر النطفة كما في الآيات الأخرى، وذلك لأنّ العلقة أولى مراحل التكوين الحقيقي للجنين في بطن أُمّه، فإنّ النطفة تكون في البداية ماء مهينا أو منيّاً، ولكن حتى يُخصّب هذا الماء أو المني بويضة المرأة تتحوّل إلى نطفة أمشاج[11].

---

[1] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج24، ص90/ النجار. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ج2، ص159.

[2] الشنقيطي. أضواء البيان، ج8، ص304.

[3] النجار. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ج4، ص263.

[4] (سورة: السجدة) {آية:8}

[5] النجار. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ج3، ص58.

[6] (سورة: السجدة) {آية:8}

[7] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص59.

[8] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص4.

[9] النجار. تفسير الآيات الكونية، ج4، ص412-413.

[10] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص4.

[11] الحلقة الثالثة من تفسير القرآن للشيخ محمد حسّان، مقال منشور بموقع فرسان الحق www.Forsanelhaq.com

بناءً على ما سبق فإنه لا تعارض البتّة بين الآيات التي تتحدث عن مراحل خلق ذرية آدم، فإنَّ الله قد أجمل في مواضع وفصّل في أُخرى، فأجمل في مواضع بذكر مرحلة النطفة، وذلك لأنها أولى المراحل، فهي الأساس، إذ لولاها لما كانت المراحل الأخرى التي تتبعها، وأيضاً ليلفت (سبحانه وتعالى) نظر الإنسان إلى هذا الخلق العجيب، الذي مبدأُه من (ماء مهين) للعِظة والعبرة، وذكر في موضع واحد فحسب مرحلة العلقة، لكونها أولى مراحل التكوين الحقيقي للإنسان، وقد فصّل تعالى في مواضع أُخرى بذكر هذه المراحل التي تحوي حقائق علمية في تسلسل دقيق مُحكم، ومن ثُمَّ اقتضى الإجمال والحذف، والتفصيل والإثبات، فجاء في كل سورة بما اقتضاه الحال[1].

3) التطابق بين الحقائق العلمية وما أشارت إليه الآيات في قضية خلق آدم:

بيّنت الآيات القرآنية أن آدم (عليه السلام) قد خُلق من تراب الأرض، حيث مرَّ بمراحل مُتتالية حتى صار آدم إنساناً، كما قال تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[2]، ولما كان بنو آدم في صلب أبيهم (عليه السلام) لحظة خلقه، دلَّ هذا على أنهم خُلقوا من تراب الأرض، قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ)[3]. "والخطاب هنا للبشرية جمعاء، ممّا يؤكد أنهم كانوا جميعاً في صلب أبيهم آدم لحظة خلقه"[4].

وفي ذلك المعنى يقول د. سيّد طنطاوي (شيخ الأزهر): "أي نحن الذين خلقناكم في ظهر آدم، ثم صورناكم حتى أخذنا عليكم الميثاق...."[5].

ويؤكد الشعراوي: أن الله شمل الخلق جميعاً في خلق آدم، والعلم الحديث يعطينا مؤشرات على ذلك، حين يأتون ببذرة ويكتشفون فيها كل مقوّمات الثمرة، وكذلك الحيوان المنوي وماء المرأة الذي توجد فيه كل صفات الإنسان، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[6]. ويقول د. زغلول النجّار: "علم الوراثة يردّ بلايين البشر الذين يملأون جنبات الأرض اليوم، وكذلك البلايين الذين عاشوا من قبل

---

[1] الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، أسرار التكرار في القرآن الكريم، دار الاعتصام، القاهرة، ط2، ص125.

[2] (سورة: آل عمران) {آية:59}

[3] (سورة: الأعراف) {آية:11}

[4] النجار، تفسير الآيات الكونية، ج3، ص480.

[5] طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د.ط، ج5، ص250

[6] (سورة: الأعراف) {آية:172}/ الشعراوي. تفسير الشعراوي، ج7، ص4060.

وماتوا، والذين سوف يأتون من بعدنا إلى يوم القيامة، يردّ هؤلاء إلى شيفرة وراثية كانت في صلب آدم لحظة خلقه، وقد ظلت هذه الشيفرة ولا تزال، ممّا يُعين على ردّها في الأصل إلى شيفرة واحدة جمع فيها ربنا الخلق كله[1].

إذاً فكل إنسان خُلق في الأساس من تراب الأرض لا محالة.

يقول صاحب الظلال: "الإنسان ابن هذه الأرض، من ترابها نشأ، ومن ترابها تكَوَّن ومن ترابها عاش، وما في جسمه من عنصر الا له نظيره من عناصر أُمّه (الأرض)، إنّها نقلة ضخمة تشهد بالقدرة التي لا يُعجزها البعث، وهي أنشأت ذلك الخلق من تراب"[2].

4) خلق حواء (عليها السلام):

لما خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) خلق له زوجه حَوّاء، وفي هذا ورد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[3]، وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)[4].

وقد حصل الاختلاف قديما وحديثا في خلق حوّاء (عليها السلام)، هل خُلقت من آدم (عليه السلام) أم من جنس نفس آدم؟ على الاختلاف في دلالة كلمة (من) الواردة في الآية.

هذا وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات على قولين مشهورين، وهما:

القول الأوّل: أنّ حواء خُلقت من ضلع آدم: فقوله تعالى: (مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، النفس الواحدة: هي آدم، وخُلق من هذه النفس زوجها وهي حَوّاء، فإنها أُخرجت من آدم، أي من ضلعه، كما يقتضيه ظاهر الآية في كلمة (منها)، وهذا القول هو قول جمهور المفسرين، وبه قال

---

[1] النجار. تفسير الآيات الكونية، ج3، ص479.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط16، 1410هـ – 1990م، ج4 ص2405

[3] (سورة: النساء) {آية:1}

[4] (سورة: الأعراف) {آية:189}

قتادة[1] ومجاهد[2]، والضحاك[3]. وقال الطبري: أي خُلق من هذه النفس الواحدة زوجها، ويعني بـ (زوجها): "الزوج الثاني للنفس، وهي حواء وقد خُلقت من ضلعه"[4]، وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى: "(وخلق منها زوجها) هي حوّاء (عليها السلام)، خُلقت من ضلعه الأيسر"[5]، وقال الزمخشري: "ولم تُخلق أُنثى غير حوّاء من رجل"[6]، وقال الألوسي: "المراد من الزوج حوّاء، وقد خلقت من ضلع آدم (عليه السلام) الأيسر، كما روي ذلك عن ابن عمر وغيره"[7] وقال أيضاً: "والكيفية مجهولة لنا، ولا يُعجز الله شيء"[8]، وقال بهذا القول كثير من المفسرين منهم: الرازي[9] والبيضاوي[10] وابن عاشور[11].

القول الثاني: أنّ حواء لم تُخلق من آدم وإنّما من جنس نفس آدم: هذا القول هو لأبي مسلم الأصفهاني[12]، وقد حكى بعض المفسرين هذا القول عنه، من باب ذكر الأقوال في تفسير الآية، وقد يُرجّح غيره، وممّن أشار إلى هذا القول من المفسرين الطبري، حيث قال: "وقيل المعنى في قوله

---

[1] قَتَادة (61-118)هـ: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث، مات بواسط في الطاعون. أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ-1985م ج5 ص269.

[2] مجاهد بن جبر (21-104)هـ: هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم:، تابعي، مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. أنظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء ج4 ص449.

[3] الضحاك: بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير، حدث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وغيرهم، وثقه أحمد بن حنبل، وحديثه في السنن لا في الصحيحين، قيل: كان يدلس، له باع كبير في التفسير والقصص، نقل غير واحد وفاة الضحاك في سنة 102هـ، وقيل غير ذلك. أنظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء ج4 ص449 /الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج7، ص515.

[4] الطبري. جامع البيان، ج3، ص55.

[5] ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج2 ص206.

[6] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص369.

[7] الألوسي. روح المعاني، ج3، ص398.

[8] المصدر السابق ج6، ص475.

[9] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج5،ص35.

[10] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ ، ج1، ص427.

[11] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج3، ص314.

[12] أَبُو مُسْلِم الأَصْفَهاني (254-322)هـ: هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، معتزلي، من كبار الكُتّاب، كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر، ولي أصفهان وبلاد فارس، للمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة 321 هـ فعزل، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير. أنظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م ج6 ص50/ أبو حيان. البحر المحيط في التفسير، ج4، ص11.

تعالى: (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) أي: من جنسها، والأوّل: أولى[1]. والمقصود بالأوّل، هو القول القول الذي تَقَدَّم ذكره، وهو أن حواء مخلوقة من آدم.

وقال أبو حيان في شرحه لهذه الآية المتقدمة: "إمّا كون حواء خلقت من ضلع آدم، وإمّا أنّ أزواجكم من جنسكم ونوعكم، فمتى كان من العيش، كان بينهما تآلف، بخلاف الجنسين، فإنه يكون بينهما التنافر، وهذه الحكمة في بعث الرسل من جنس بني آدم"[2]. وبمثل هذه الأقوال قال الألوسي[3] والبغوي[4]. والبغوي[4]. وممّا يمكن أن يُستدل به على قول أبي مسلم الأصفهاني على أنَّ حواء خُلقت من جنس آدم:

أ) أنَّ معنى (منها) في آية النساء، أي من جنسها، وهذه الآية مثل قوله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)[5].

ب) أنه تعالى لما كان قادراً على أن يخلق آدم ابتداءً، فما الذي حملنا على أن نقول: إنه تعالى خلق حوّاء من جزء من أجزاء آدم؟ ولمَ لا نقول: إنه تعالى خلق حوّاء أيضاً ابتداءً؟ وأيضاً الذي يقدر على خلق إنسان من عظم واحد فلِمَ لا يقدر على خلقه ابتداءً؟ فأي فائدة في خلقها من ضلعه؟!

ت) وممّا يحتج به أيضا أن الإشارة إلى الشيء قد تكون بحسب نوعه، ومثال ذلك قوله (عليه الصلاة والسلام): "هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به"[6] وليس المراد ذلك الوضوء المُعيّن، بل المراد ذلك النوع، والمراد في الآية: أنه خلق من النوع الإنساني زوج آدم، والمقصود التنبيه على أنه تعالى جعل زوج آدم انساناً مثله.

وترجّح الباحثة الرأي الأول القائل: بأنّ حواء خُلقت من ضلع آدم (عليه السلام)، حيث إن الآية الواردة في أوّل سورة النساء (الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) مُجملة، مُحتملة للقولين في اللغة، والمعلوم أنَّ

---

[1] الطبري. تفسير الطبري، ج3، ص55.

[2] أبو حيان. البحر المحيط في التفسير، ج9، ص76.

[3] الألوسي. روح المعاني، ج 15، ص348.

[4] البغوي، أبو محمد الحسين بن محمود. معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ – 1997م، ج6 ص266

[5] (سورة: النحل) {آية:72}

[6] الألباني، محمد ناصر الدين. ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1958، ج1 ص 125 حديث رقم 85، وقال الألباني: لا أعلم له أصلا.

القرآن يُفسّر بعضه بعضا إن كان النص الوارد صريحاً في التفسير، وإلا فليُنظر إلى السُنَّة النبوية، وقد اعتمد القائلون بهذا القول على صحة ما ورد عن رسول الله، وهو الصواب كما سيأتي بيانه.

وقد أورد أصحاب هذا القول كثيراً من الروايات، وفي بعضها تحديد الضلع الذي خُلقت منه حوّاء، وهذه الروايات منها ما هو صحيح ومنها ما لا يصح، والعبرة بالصحيح لا بغيره.

أما ما احتجَّ به أصحاب القول الثاني بأنَّ كلمة (منها) أي من جنسها، فهذا القول مخالفٌ لجمهور المفسرين، وعلى وجه الاحتمال فيه: فإن كان المقصود من قولهم: إنّ حوّاء من جنس آدم، أي من نوعه، فلا إشكال في هذا القول، إذ لم يأتوا بجديد فيه، فإنَّ أُنثى كل نوع هي من نوع ذكرها، وهذا لا يختصُّ بنوع الإنسان، وسيكون قولهم هذا موافقاً لقول الجمهور، فإنَّ حوَّاء خلقت من آدم، وهي من جنسه ونوعه، ولا تعارض في هذا. وإن كان المقصود بالجنس هنا: أنَّ حوَّاء خُلقت ممّا خُلق منه آدم، وليست مخلوقة منه، فيلزم من هذا القول أنّ الناس مخلوقون من نفسين لا من نفسٍ واحدة، وهذا القول مُخالف للآية،[1] ويُردّ عليه أيضا بأنّ الناس مخلوقون من نفس كلّ من الأب والأم معا، أي من النفس الإنسانية التي تشمل الذكر والأنثى، كما قال تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ)[2]، وعليه فالناس مخلوقون من نفس واحدة كنص الآية ولا تعارض أبدا.

ويمُكن لأصحاب القول الثاني: أن يجيبوا عن هذا بأن كلمة (من) في قوله تعالى: (مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) ابتدائية، أي لابتداء الغاية، بمعنى: ابتدأ خلقكم بآدم، فلما كان ابتداء الخلق وقع بآدم، صحَّ أن يُقال: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)، إذ العبرة بالابتداء.

وأمّا قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) فإنَّ المفسرين منهم من جعل الآية خاصّة بآدم وحوّاء، فتكون حوّاء مخلوقة منه، ومنهم من جعلها عامّة للرجال والنساء من بني آدم، فيكون المعنى، أنَّ الله خلق النساء ليتزوج بهنَّ الذكور، وأنّ سائر الأزواج من أمثالهم من الرجال[3].

قال الزمخشري: "من شكل أنفسكم وجنسها، لا من جنس آخر"[4].

وعلى كون الآية خاصّة أو عامَّة، فلا يلزم من كون الرّجال والنساء من جنس واحد، أن تكون حوّاء مخلوقة من تراب، إذ لا تعارض بين العموم والخصوص، وهذا ممّا يؤكد مذهب الجمهور. وأمَّا قولهم:

---

[1] طنطاوي. التفسير الوسيط، ج1، ص837.

[2] (سورة: المائدة) {آية:32}.

[3] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج9، ص433/ الزمخشري. الكشاف، ج5، ص243.

[4] الزمخشري. الكشاف، ج5، ص243.

أي فائدة في خلق حوّاء من ضلع، والله تعالى قادر على أن يخلقها من تراب؟ يُجاب عليه: أنَّ فائدة ذلك هي الحكمة التي خفيت علينا، وهي أنه (سبحانه وتعالى) قادر على أن يخلق حيّاً من حي كـ (حوّاء)، كما أنه قادر على أن يخلق حيّاً من جماد كـ (آدم)، وكما أنه (سبحانه وتعالى) قادر على خلق آدم من التراب، هو قادر كذلك على خلق سائر الخلق من تراب، فما هو جوابكم عن خلق الناس من ماء مهين مع القدرة على خلقهم من تراب؟ مع التشبيه إلى أن قدرة الله مُطلقة، ولا يصحُّ أدباً وأبدا- مع الله- الاستدلال بقدرته المطلقة على ما قد ثبت أنه لم يكن، ومنه الاستدلال بأنَّ الله تعالى كان قادراً على أن يخلق حوّاء من تراب، بعدما قد ثبت لنا وعلمنا أنه خلقها من آدم.[1]

ومما يمكن أن تستدل به الباحثة في ترجيح الرأي الأول، هو تفسير مُجمل القرآن بصحيح السُنة النبوية، وهو منهج قوي ويُعتمد عليه في تفسير المُجمل من القرآن، حيث ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خُلقن من ضلع، وإنَّ اعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقييمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً".[2] قال الفخر الرازي: لقد ذكر الله في كيفية خلق آدم وجوها كثيرة فقال: (خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ)[3]، وقال تعالى: (خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا)[4]، وقال تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)[5]، وقال تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)[6]، وقال تعالى: (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)[7]، قال الفخر: فالأقرب أنه تعالى خلقه من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار.[8]

أما معنى "أنَّ المرأة خُلقتْ من ضلع" فيحتمل معنيين:

---

[1] ابن عادل، عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ - 1998م ط1 ج1 ص549

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، ط1، 1422 هـ، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ج7 ص26 حديث رقم 5185.

[3] (سورة: آل عمران) {آية:59}.

[4] (سورة: الفرقان) {آية:54}.

[5] (سورة: السجدة) {آية:7}

[6] (سورة: الصافات) {آية:11}

[7] (سورة: الحجر) {آية:28}

[8] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج2، ص427.

أولهما: أنّ المرأة خُلقت من أصل معوّج وهو الضلع، وفي ذلك إشارة إلى ما تقدّم من أنّ حواء (عليها السلام) خُلقت من ضلع من أضلاع آدم، وهو الذي عليه جمهور المفسرين والمحدثين.[1]

والثاني: هذا بيان من الرسول(ﷺ) لطبيعة المرأة، وأنها كالضلع في الاعوجاج، ويشهد له قوله (ﷺ): "ثم إنّ المرأة كالضلع" كما في بعض روايات الحديث[2]، ويُستدل لذلك بأن الرسول (ﷺ) استعمل لفظ (المرأة) في الحديث للدلالة على جنس النساء لا على حواء على وجه الخصوص.

ولكن لا تعارض بين ألفاظ الحديث، لأنَّ رواية الحديث بلفظ: "إنّ المرأة خُلقت من ضلع"، تشير إلى نقطة تشبيه المرأة بالضلع في الرواية الأخرى "ان المرأة كالضلع"، وتُبيّن أنّ المرأة عوجاء مثل الضلع، لأنَّ أصلها منه، إذ خلقت حواء (عليها السلام) من ضلع من أضلاع آدم، فالمرأة في مشاعرها وعواطفها تشابه ذلك الضلع المعوّج الذي خلقت منه، وبهذا يتبيّن أنه لا تناقض بين ألفاظ الحديث وروايته الثانية عن الرسول (ﷺ)، بل يوّضح بعضها بعضا، وكلها مُتفقة في بيان حقيقة واحدة، وهي أنَّ حواء خُلقت من ضلع من أضلاع آدم.

أمّا الوقت الذي خُلقت فيه حواء، فلم تقف الباحثة فيه على دليل من القرآن أو السنة الثابتة عن رسول الله، يُحدّد الوقت الذي خلقت فيه حواء (عليها السلام)، ولكن هناك آيات في كتاب الله استنبط منها المفسرون أنَّ حواء خُلقت بعد سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس من السجود له، وقبل أن يأمر الله آدم بأن يسكن هو وزوجه الجنّة، فقال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[3] وقال: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[4]. وقال: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)[5]، فقد أمر الله آدم أن يسكن هو وزوجه الجنّة، ويُفهم من هذا الخطاب

---

[1] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج10 ص57/ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ط 1379هـ ج6 ص368

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: من انتظر حتى تدفن، ج7 ص26

[3] (سورة: البقرة) {آية:30}

[4] (سورة: الأعراف) {آية:19}

[5] (سورة: طه) {آية:117-119}

وسياق الآيات أنَّ حواء كانت قد خلقت قبل أن يتلقى آدم خطاب ربه للسكن في الجنة مع زوجه (عليهما السلام)[1].

قال الآلوسي: (وقال كثيرون- وانا أقول بقولهم -: إنّها خلقت قبل الدخول ودخلا معا، وظاهر الآية الكريمة يُشير اليه، وإلا توّجه الأمر إلى معدوم وان كان في علمه تعالى موجودا، وأيضا تقديم (زوجك) على (الجنَّة) نوع اشارة إليه، وفي المثل: (الرفيق قبل الطريق)، وأيضاً هي مسكن القلب والجنّة مسكن البدن، ومن الحكمة تقديم الأوّل على الثاني)[2].

5) مراحل خلق آدم (عليه السلام):

من خلال تتبع الآيات الواردة في قضية خلق آدم (عليه السلام) يمكن إجمال مراحل خلق آدم بما يلي:

المرحلة الأولى: من تراب، وهي المادة الأولى في خلق آدم، واليها أشار تعالى بقوله: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ [3])، فآدم خلق من تراب الأرض مباشرة، وفي هذا إشارة إلى الرابط بين هذا الكائن الجديد وهذه الأرض، فهو خليفة فيها، يعمّرها ويستثمر خيراتها باسم الله، وعلى هدى تشريعه الحكيم.

المرحلة الثانية: من طين، وإليها أشار تعالى بقوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ)[4] فالتراب إذا صُبَّ الماء عليه صار طينا، ويُمثل الماء عنصرا أساسياً في خلق الكائنات الحيّة كافة، تصديقا لقوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ"[5]، وقد نصّ القرآن على الماء في خلق الإنسان في قوله (سبحانه وتعالى): (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)[6].

المرحلة الثالثة: من طين لازب، وإليها أشار تعالى بقوله: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)[7]، واللازب: الملتصق باليد عند المماسة، وتلك مرحلة تعقب تحوّل التراب إلى طين مباشرة، ومعنى "خلقناهم" أي خلقنا أباهم الأول آدم (عليه السلام)، فهم اليه يُنسبون.[8]

---

[1] أبو حيان. البحر المحيط في التفسير، ج7 ص388.

[2] الألوسي. روح المعاني، ج1 ص234/ الزمخشري. الكشاف، ج1، ص124/ ابن كثير. تفسير القرآن الكريم العظيم، ج1، ص216.

[3] (سورة: آل عمران) {آية:59}

[4] (سورة: ص) {آية:71}

[5] (سورة: الأنبياء) {آية:30}

[6] (سورة: الفرقان) {آية:54}/ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. أحكام القرآن للشافعي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ - 1994 م، ج1 ص60.

[7] (سورة: الصافات) {آية:11}

[8] بدران، محمد فتح الله. العقيدة والفطرة، دار الفكر، مصر ط2، 1919م، ص53.

المرحلة الرابعة: من حمأ مسنون، واليها أشار تعالى بقوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)[1]، والحمأ هو الطين الأسود، والمسنون هو المتغيّر، فالطين عند تركه فترة مُعينة يصير حمأ مسنوناً.[2]

المرحلة الخامسة: من صلصال، واليها أشار تعالى بقوله: (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)[3]، والصلصال هو الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة أي صوت عند النقر عليه، ولم تمسّه النار.

المرحلة السادسة: كالفخار، وهي مرحلة لها من اليبس والصلابة ما يقربها إلى الفخار الذي أصابته النار، ولم يرد ذكر لهذه المرحلة الا الآية السابقة في سورة الرحمن.

وفي هذه المرحلة من خلق آدم (عليه السلام) تكون قد تمت تسوية البدن الماديّة.[4]

المرحلة السابعة: نفخ الروح، واليها أشار تعالى بقوله: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[5]، وبهذا تمّ خلق الكائن الجديد والإنسان الأوّل، وكان خاتمة مطاف الخلق الالهي لأجناس هذا الكون وأنواعه.[6]

هذا وقد جعل بعض الباحثين مراحل خلق آدم عشراً، فذكروا مرحلة ثانية هي الماء عقب مرحلة التراب، وذكروا مرحلة رابعة هي من سلالة من طين بعد مرحلة الطين، وذكروا مرحلة تاسعة هي التسوية قبل نفخ الروح.

وترى الباحثة الاقتصار على المراحل السبع فقط: لأن الماء لم يرد استقلالاً لآدم على وجه الخصوص، وانما ورد للإنسان على وجه العموم، كما في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا)[7]، ومرحلة السلالة من طين لا تعني أكثر من مرحلة الطين، لأنّ النص الكريم ورد بقوله (من طين) ولفظ "من" يُفيد التبعيض، فيلتقي مع معنى السلالة، ومرحلة التسوية لا تعني شيئا أكثر من تمام المراحل السابقة، وعندما نلاحظ سياقها في النظم الكريم نجد أنها ذكرت حيث طويت المراحل السالفة بعضها أو معظمها.

---

[1] (سورة: الحجر) {آية:28}

[2] بدران. العقيدة والفطرة، ص53.

[3] (سورة: الرحمن) {آية:14}

[4] بدران. العقيدة والفطرة، ص53.

[5] (سورة: الحجر) {آية:29}

[6] بدران. العقيدة والفطرة، ص53.

[7] (سورة: الفرقان) {آية:54}

6) خلقُ الله آدم بيديه (سبحانه وتعالى): كرّم الله آدم لخلقه بيديه، وقد بيّن الله ذلك في كتابه المبين، قال تعالى: (قَالَ يَا إبليس مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)[1] فالله عاتب إبليس على عدم امتثال أمره بالسجود لآدم الذي شرفه الله وكرمه بخلقه بيديه تعالى.

نفخ الروح في آدم: لما خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) نفخ فيه من روحه، قال تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[2] وورد في حديث الشفاعة عن ابي هريرة (رضي الله عنه)، قال (ﷺ): (... فيقول بعض الناس أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟)[3]

فَنَفخُ الله في آدم من روحه ممّا خَصّه الله به، حيث لم يكل ذلك إلى أحد من خلقه، كما هو الحال في غيره، هذه فضيلة عظيمة اختصّ بها آدم وانفرد بها عن سائر الخلق، ولذلك كانت مرحلة نفخ الروح منه من أعظم مراحل خلقه وأعلاها وأسماها.

هذا وقد اختلف المفسرون في بيان المراد من الروح التي نُفخت في آدم (عليه السلام) على أقوال:

القول الأول: الروح الذي نُفخ في آدم جزء من الله تعالى غير مخلوق، انفصل عن ذات الله، فكان في آدم، ثم في شيث، ثم هو في كل نبي ووحي، إلى أن صار في علي (رضي الله عنه)، ثم في أولاده، ثم هو في كل وحي وإمام. هذا قول الزنادقة من غلاة الروافض[4] وهو مبني على كفر بواح، وظلمات دامسة بعضها فوق بعض، لا يقول به عاقل تجاه معبوده، فضلاً أن يقول به مسلم يعرف ربَّه ودينه، وبيان بطلانه من وجوه:

أولاً: أن هذا القول يلزم منه أن هناك اشياء انفصلت من ذات الله ودخلت في تركيب غيره، وهو (سبحانه وتعالى) مُنزَّه ان تكون ذاته مادة خلق لغيره،[5] بل هو (سبحانه وتعالى) بائن بذاته عن مخلوقاته، فليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ومن قال: إنّ شيئاً من

---

[1] (سورة: ص) {آية:75}

[2] (سورة: الحجر) {آية:29}

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: من انتظر حتى تدفن، ج4 ص135

[4] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط 1404هـ ج1 ص15.

[5] أبو بكر محمد زكريا. الشرك القديم والحديث، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، السعودية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1421هـ - 2000م، ج1 ص885.

صفات الله تعالى حالّ في العبد، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها[1].

ثانياً: أَنَّ هذا القول من جنس قول النصارى في المسيح، الذين يعتقدون أن المسيح إله، على اعتبار أنه ذو طبقتين: لاهوتية وناسوتية[2] –والمعنى أنهم يعتقدون أن المسيح خليط من صفات الله وصفات الإنسان– وقد ردَّ الله ذلك عليهم، وكفرَّهم من أجله، قال تعالى: (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)[3].

ثالثاً: الروح موصوفة بالإرسال والإمساك والقبض والوفاة، وأنَّ الملائكة يخرجونها من البدن طوعاً أو كرها، فيمسكونها بأيديهم، ويُكفنونها بكفن من الجنّة أو النار، ويصعدون بها إلى السماءِ، فلو كانت أرواح من زعم هؤلاء أنها جزء من الله لما صحَّ أن توصف بهذه الأوصاف، بل الروح إذا كانت مُشركة لا تُفتح لها أبواب السماء، ويقال لها: ما هذه الروح الخبيثة؟ فما كان هذا وصفه كيف يَصحّ أن يقال إنّه جزء من الله؟!

رابعاً: نفخُ الله في آدم من روحه، ليس معناه أنّ روح آدم جزء من ذاته تعالى جعله في آدم لما نفخ فيه الروح، بل ما أضافه الله إلى نفسه على نوعين[4] وهما:

النوع الأوّل: صفات لا تقوم بأنفسها، وتكون إضافتها إلى الله من باب اضافة الصفة إلى الموصوف. كقوله تعالى: (فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)[5] وقوله تعالى: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ)[6] فعلمُه وكلامُه من صفاته تعالى، وصفاته غير مخلوقة.

النوع الثاني: أعيان مُنفصلة عنه تعالى قائمة بنفسها، فإضافتها اليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق، كقوله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ)[7]. وقوله تعالى: (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ)[8] .

---

[1] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ – 1987م ج6 ص412.

[2] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ – 1999م ج2 ص170.

[3] (سورة: المائدة) {آية:17}

[4] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج17 ص151.

[5] (سورة: التوبة) {آية:6}

[6] (سورة: فاطر) {آية:11}

[7] (سورة: الجاثية) {آية:13}

[8] (سورة: العنكبوت) {آية:56}

وقد تكون على سبيل الخصوص لتشرفه كقوله تعالى: (نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)[1] وقوله: (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)[2] وقوله: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[3].

فالروح التي نُفخت في آدم إضافتها إلى الله تعالى من هذه الإضافة الخاصة، فهي ليست قديمة، ولا صفة له (سبحانه وتعالى)، ولا جزأ منه تعالى، وإنما هي روح مخلوقة كبقية الأرواح، ولكنها انفردت عن غيرها وامتازت بأنَّ الله نفخها في آدم، واضافها إلى نفسه إضافة خاصّة.

خامساً: أنَّ الأرواح كلها مخلوقة مُحدثة، والأدلة على كون الأرواح مخلوقة مُحدثة كثيرة من كتاب الله، منها:

أ) قال تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[4] فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه من الوجوه، ولا يدخل في ذلك صفاته، فإنها داخلة في مسمّى اسمه، والله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه، وقدرته، وحياته، وارادته، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته داخل في مُسمّى اسمه، ليس داخلا في الأشياء المخلوقة، كما لم تدخل ذاته فيها، فهو بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أنّ الرّوح ليست هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنّما هي مصنوع من مصنوعاته، فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس[5].

ب) قال تعالى مخاطباً عبده زكريا: (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا)[6].

وهذا الخطاب ليس لبدنه فحسب، بل هو خطاب لروحه وبدنه، فإنَّ البدن وحده لا يفهم، ولا يخاطب، ولا يعقل، وانما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح وحده أو الروح مع البدن.[7]

ت) وقال تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)[8] فلو كانت روحه قديمة لكان الإنسان لم يزل شيئاً مذكورا، فإنه إنما هو إنسان بروحه وبدنه لا ببدنه فحسب[9].

---

[1] (سورة: الشمس) {آية:13}

[2] (سورة: البقرة) {آية:125}

[3] (سورة: الحجر) {آية:29}

[4] (سورة: الزمر) {آية:62}

[5] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ - 1975م ج1 ص146.

[6] (سورة: مريم) {آية:9}

[7] ابن قيم الجوزية. الروح، ص266

[8] (سورة: الانسان) {آية:1}

[9] ابن قيم الجوزية. الروح، ص:269

7) **صفات آدم (عليه السلام):** هناك عدة صفات لآدم (عليه السلام)، منها ما ورد في القرآن الكريم، ومنها ما ورد في السنة النبوية، يمكن أن نجملها فيما يلي:

أ- **كان (عليه السلام) طويل القامة**، وكان طوله ستين ذراعا، ودليل ذلك من السنة النبوية، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (خلق الله عزَّ وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه الله قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيّتك وتحية ذريتك). قال: فذهب فقال: (السلام عليكم) فقالوا: (السلام عليك ورحمة الله). قال: (فزادوه ورحمة الله). قال: (فكل من يدخل الجنّة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن)[1].

ب- **كان آدم (عليه السلام) كثير شعر الرأس:** ودليله من السنة النبوية، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: (إِنَّ آدَمَ كَانَ رَجُلًا طُوَالًا، كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ[2]، كَثِيرُ شَعْرِ الرَّأْسِ، فَلَمَّا رَكِبَ الْخَطِيئَةَ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ، وَكَانَ لَا يَرَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شَجَرَةٌ، فَقَالَ لَهَا: أَرْسِلِينِي. قَالَتْ: لَسْتُ بِمُرْسِلَتِكَ. قَالَ: وَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا آدَمُ أَمِنِّي تَفِرُّ؟ قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي اسْتَحْيَيْتُكَ)[3].

ت- **كان آدم (عليه السلام) في غاية الجمال البشري:** خلق الله آدم وصوره بيده الكريمة، ونَفَخَ فيه من روحه، فمن كرّمه الله وشرّفه بهذه المكرمات والفضائل، ما كان أن يخلقه إلا في أحسن شكل وأجمل صورة. قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)[4] .

وفي حديث الاسراء قال (ﷺ): (فإذا أنا بيوسف (ﷺ)، إذا هو قد أُعطي شطر الحسن)[5]": قال السهيلي[6] هذا الحديث: "انَّ معناه أنَّ يوسف كان على النصف من حُسن آدم، فإنَّ الله خلق آدم بيده على أكمل صورة واحسنها، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله، وكان

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام افئدتهم مثل افئدة الطير، ج4 ص2183 حديث رقم 2841

[2] النخلة السحوق؛ أي الطويلة التي بَعد ثمرها على المجتني/ ابن منظور. لسان العرب، ج10 ص152.

[3] أخرجه الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري. المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، كتاب: التفسير، باب: (بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة)، ج2 ص 288 حديث 3038، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

[4] (سورة: التين) {آية:4}

[5] اخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الايمان، باب: الاسراء برسول الله (ﷺ) الى السماوات، ج1 ص145 حديث رقم 259

[6] السُّهَيْلِي (508-581)هـ: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ السهيليّ، حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، ولد في مالقة، وعمي وعمره 17 سنة، نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة). أنظر: الزركلي. الأعلام ج3 ص313.

يوسف قد اعطي شطر حُسنه، فآدم كان في غاية نهايات الحُسن البشري، ولهذا يدخل أهل الجنة الجنّة على طول آدم وحُسنه[1]. واستحسنه الحافظ ابن كثير فقال: (وهذا مناسب، فإنَّ الله خلق آدم وصَوّره بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشياء)[2].

المطلب الثاني

العَبر والدلالات من خلق آدم (عليه السلام) وزوجه

أولا: العبر والدلالات من خلق آدم من تراب:

1) ليكون متواضعا، متذكرا بأن أصله من التراب.
2) ليكون ستّارا.
3) ليكون مطفئا لنار الشهوة والغضب، فإنّ التراب يُطفئُ النار.
4) ليكون أشدَّ التصاقاً بالأرض، وذلك لأنه إنّما خُلق لخلافة أهل الأرض.
5) ليبتعد عن الطمع، فالإنسان لن يملأ جوفه الا التراب، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: (... ولا يملأُ جوفَ ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[3]
6) إظهاراً لقدرته، لأنه تعالى خلق الشياطين من النار، التي هي أضعف الأجسام[4]، وأعطاهم كمال الشدّة والقوة، وخلق آدم من التراب، الذي هو أكثف الأجسام، ثم أعطاه المعرفة والنور والهداية، وخلق السماوات، حتى يكون خلقه لهذه الأجرام برهاناً باهراً ودليلاً ظاهراً على أنّ الله تعالى هو المدبّر للخلق بغير احتياج إلى مزاج وإلى علاج[5].
7) هناك دلالة علمية في نصّ القرآن الكريم على خلق آدم (عليه السلام) من تراب، فقد أثبت العلم الحديث أنّ جسم الإنسان يحتوي على ما تحتويه الأرض من العناصر، فهو يتكون من

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط1، 1408هـ- 1988م ج1 ص236.

[2] المصدر السابق ص236.

[3] البخاري. صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال، ج5 ص2364 حديث رقم 6072

[4] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج19 ص183.

[5] المصدر السابق، ج8، ص83.

نفس العناصر المكوّنة للتراب، مثل الكربون والأكسجين والهيدروجين والفسفور وغيرها من العناصر[1].

ثانيا: العِبَر والدلالات من خلق حَوّاء (عليها السلام)

ما كان الله (سبحانه وتعالى) أن يخلق شيئاً عبثاً وزيادة عدد، وإنما خلق الأشياء والكائنات لحكم جليلة، منها ما أوضح الحكمة من وجودها في كتابه العزيز، ومنها ما تركه للإنسان ليستخلص العبر والدلالات من خلال تفكره في خلق الله.

والباحثة من خلال استقرائها للآيات والأحاديث التي ذكرت قصة خلق حواء (عليها السلام)، يمكن أن تستخلص العبر التالية من خلق حوّاء (عليها السلام):

1) خَلقُ حَوّاء من ذكر وبدون التقاء للنُطف وبدون رحم، نمطٌ آخر من قدرة الله عز وجل على الخلق والإيجاد، فقد خُلق آدم من تراب دون التقاء للنطف أو وجود للرحم.
2) خَلقُ أُمّنا حَوّاء من شيء حيّ أهون من خلق آدم من شيء جامد وهو التراب، وليس هناك ما يصعب على قدرة الله القادر المُقتدر، فكلّها سواء الهيّن والأهون.
3) أنَّ خلق حوّاء من ضلع قد يفتح المجال لمشروعات بحثية، لدراسة نوعية الخلايا في أعلى الضلوع وخصائصها ومميزاتها عن غيرها، خصوصاً في مجال التكاثر، لأنه ربما يُفيد في الاستنساخ العلاجيّ والاستنساخ الجينيّ، وقد بيّنت بعض الأحاديث أنَّ هذا الضلع في الجانب الأيسر، وأنه قصير، وأنَّه من الخلف، وهذا ليس تحديدا للضلع نفسه، وإنما للمكان الذي به الضلع.
4) خَلقُ حّواء من نفس آدم (عليهما السلام) دليل على مدى ارتباط الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل، ولا استغناء لأحدهما عن الآخر.
5) أنّ المرأة خُلقت من أعلى الضلع، وهو أضعف جزء فيه، ولذلك فإنَّ التركيب التشريحي والفسيولوجي للمرأة ضعيف إذا قورنت بالرجل.

---

[1] متولي، أحمد مصطفى. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م ص270.

6) خَلقُ حوّاء من ضلع آدم (عليه السلام)، قُدرة إلهية أُخرى تُبيّن عظمة الخالق (سبحانه وتعالى)، إذ كيف تُخلق امرأة ذات مواصفات تختلف إلى حد ما في التركيب التشريحي والفسيولوجي عن التي خُلقت منه، إلا أنها تشترك في التراكيب الأصلية، مثل الاعتدال في القامة، والأجهزة الداخلية، والعضلات والعظام، مع بعض الاختلافات التي تتناسب مع طبيعتها كامرأة.

7) وهذا الخلق ليس استنساخا، كما يدّعي البعض بأنَّ الاستنساخ موجود في القرآن الكريم، في صورة خلق حَوّاء، وكذلك خلقِ عيسى بن مريم، وفي الحقيقة هذا كلام باطل ليس عليه دليل شرعيّ أو علميّ، لأنَّ أُمنا حَوّاء ليست نُسخة طبق الأصل من أبينا آدم (عليه السلام)، والنسخة لا بُد وأن تكون مُطابقة تماماً لما نُسخت منه دون حذف أو تعديل أو إضافة.

8) أنَّ حَوّاء بريئة من إغراء آدم باتباع الشيطان بالأكل من الشجرة، كما يتقوّل بذلك بعض الناس، وهو قول بغير علم، لأنَّ القرآن الكريم يَردّه، وقد بَيّنه الله عزَّ بقوله: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[1]

9) خَلقُ حوّاء من ضلع آدم (عليهما السلام)، يُشير إلى أنَّ الزوج مهما كان، فهو سند للزوجة وستر لها، وتُشير إلى الاستئناس ببعضهما: (هُنَّ لِبَاس لَّكُم وَأَنتُم لِبَاس لَّهُنَّ)[2]، واللباس إنّما يُستخدم للستر والحماية من عوامل البيئة كالحر والبرد، والشمس والمطر، أو هو كناية عن شدة التصاق المرأة بالرجل، كشدة التصاق اللباس بجلد الإنسان.

---

[1] (سورة: الأعراف) {آية:20-22}

[2] (سورة: البقرة) {آية:187}

المبحث الثالث: تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأوّل: ما ورد في القرآن الكريم حول تعليم آدم (عليه السلام) الاسماء

أكرم الله (سبحانه وتعالى) آدم (عليه السلام) أنّه علّمه الأسماء كلها، قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)[1].

ويؤيد هذا ما جاء في حديث الشفاعة، أنّ الناس يأتون آدم فيقولون له: "أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء"[2] وجاء في احتجاج آدم وموسى (عليهما السلام) أنّ موسى (عليه السلام) قال لآدم (عليه السلام) "أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلّمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك....[3]

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدّل على أن الله (سبحانه وتعالى) علم آدم الأسماء كلها، ولكن اختلفت أقوال السلف في بيان الأسماء التي علمها الله تعالى آدم، ويمكن تلخيصها في قولين:

القول الأول: أن الله علم آدم (عليه السلام) أسماء معدودة لمسميات مخصوصة، ويندرج تحت هذا القول أربعة أقوال:

1) أنَّ الله (سبحانه وتعالى) علم آدم (عليه السلام) أسماء من يعقل، وهذا القول يشتمل على قولين:

أ- أنّه علمه أسماء الملائكة، لأنه لم يكن حينئذٍ من يعقل إلا الملائكة، وإبليس لم يكن انفصل عن الملائكة، ولم يكن له في ذلك الوقت ذرية[4].

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:31-33}

[2] جزء من حديث أنس، البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: من انتظر حتى تدفن، ج6 ص17 حديث رقم 4476

[3] جزء من حديث عمر بن الخطاب، أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب السنة، باب: في القدر، ج2 ص638 حديث رقم: 4702، وصححه الألباني.

[4] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج7، ص94/ الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص216.

ب-أنّه علمه أسماء ذريته[1]، وهذا يناسب نوعا ما حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داوود...[2]

ورجّح ابن جرير هذين القولين وقال: (أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التي علمها آدم هي أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة، وعلّل ذلك بأنّ الله (سبحانه وتعالى) قال: (ثُمَّ عَرَضَهُمْ) فالهاء والميم (هم) عبارة عما يعقل، ولكن تُعقّب بأن ما ذهب إليه ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويُعبّر عن الجميع بصيغة من يعقل، تغليباً للعاقل على غيره[3]

2) أنّه علّمه أسماء ما خلق في الأرض من الدواب، والهوام، والطير، وهذا القول منسوب إلى السائب الكلبي[4] ومقاتل[5].

3) أنّه علّمه أسماء الأجناس دون الأنواع مثل: إنسان، وملك، وجن وطائر[6].

4) أنّه علمه أسماء النجوم.

---

[1] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص216.

[2] أخرجه الترمذي. سنن الترمذي، تحقيق الألباني، كتاب: التفسير، باب: سورة الأعراف، ج5 ص267 حديث رقم: 3076 وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الالباني في التحقيق.

[3] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص216.

[4] السائب الكلبي: هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو ابن الحارث الكلبي، أبو النضر: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها، وهو من (كلب بن وبرة) من قضاعة، شهد وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث.، وصنف كتابا في (تفسير القرآن)، وهو ضعيف الحديث، قال النسائي: حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير. وقيل: كان سبئيا، من أصحاب (عبد الله بن سبإ) الّذي كان يقول إن علي بن أبي طالب لم يمت وسيرجع ويملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا، توفي سنة146هـ. أنظر: الزركلي. الأعلام، ج6 ص133.

[5] مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني، كان مشهورا بتفسير القرآن الكريم، حكى عن الشافعي عنه أنه قال: كلهم عيال على مقاتل ابن سليمان في التفسير، توفي سنة 150هـ، انظر: الداوودي، محمد بن علي. طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط ج2 ص330/ ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج7، ص94.

[6] المصدر السابق، ج7، ص94.

وهذه الأقوال فيها نظر، لعدم موافقتها لظاهر الآية، فإنَّ الله تعالى قال: (الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) وهذا لفظ عام مؤكد يدّل على أنَّ الله تعالى علم آدم (عليه السلام) جميع الأسماء، ولم يخرج عن هذا شيء منها[1]، فلا يصحّ قصرها على أسماء معدودة لمسميات مخصوصة بدون دليل.

القول الثاني: أن الله تعالى علم آدم (عليه السلام) أسماء كلّ شيء، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس وسعيد بن جُبير ومجاهد وقتادة والرَّبيع ابن أنس[2] في رواية عنه[3].

وهو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية[4]، واختاره ابن كثير[5] واستدلاله بحديث الشفاعة، أنَّ أهل الموقف يأتون إلى آدم (عليه السلام) يوم القيامة، فيقولون له: ".... وعلَّمَك أسماءَ كلّ شيء...."[6] وبظاهر الآية (الأَسْمَاءَ كُلَّهَا).

وكذلك يشهد له حديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في احتجاج آدم وموسى (عليهما السلام) مرفوعاً إلى النبي (ﷺ) أن موسى قال: يا ربّ أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنّة، فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم. قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلّها، وأمر الملائكة فسجدوا لك. قال: نعم ..... الحديث[7].

لذا ترى الباحثة أن هذا هو الأظهر، لشهادة ظاهر الآية، وحديث الشفاعة، وحديث احتجاج آدم وموسى له، فآدم (عليه السلام) كان في إمكانه أن يُعبّر عن جميع ما يريده ويتصوره بلفظه، وكان قادراً على تسمية ما يراه، ويقع تحت حسّه في جميع الأجناس بلا استثناء بتعليم الله له.

المطلب الثاني: لُغة آدم (عليه السلام)

هناك أقوال في لغة آدم (عليه السلام)، أُجملها فيما يلي:

القول الأول: أنّ آدم (عليه السلام) كان عالماً بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده اليوم، وما يتكلمون بها إلى يوم القيامة من جميع الأجناس[8]، وغلا بعضهم في هذا التفصيل، فقال: علمه الأشياء كلها، ما

---

[1] المصدر السابق، ج7، ص94.

[2] الربيع بن أنس: ابن زياد البكري، الخراساني، المروزي، بصري، كان عالم مرو في زمانه، سمع من أنس بن مالك وغيره، سُجن بمرو ثلاثين سنة، قال أبو حاتم: صدوق، يقال: توفي سنة 139هـ. أنظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج6 ص169.

[3] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص215.

[4] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج7، ص94.

[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص75.

[6] جزء من حديث أنس (رضي الله عنه) في الشفاعة، أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه، ص53.

[7] سبق تخريجه، ص53.

[8] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص282/ البغوي. معالم التنزيل، ج1، ص61.

كان وما سيكون إلى يوم القيامة، وعلمه أصول العلوم، وقوانين الصناعات، وأسماء الآلات، من السيارات والطيارات وتفاصيلها واجزائها وأدوات وطرق استخدامها..... وما تحتاج اليه ذريته[1]. واستدل هؤلاء بظاهر الآية: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[2] وبظاهر حديث الشفاعة الذي جاء فيه أن أهل الموقف يأتون إلى آدم يوم القيامة فيقولون له: "..... وعلمك أسماء كل شيءْ....."[3].

ولكن هذا القول فيه نظر، وبيان ذلك بما يلي[4]:

1) القول بأنَّ آدم كان عالماً بجميع ما تكلم به ذريته من اللغات، وما سيتكلمون به من اللغات إلى يوم القيامة، لم يقل به أحد من السلف، ولم يُفسر أحد منهم الأسماء التي علمها الله تعالى آدم (عليه السلام) بهذا التفسير، ولا اللغة التي حصل فيها الكلام، وهل علّم الله آدم لُغة مُعينة من اللغات أو كلها أو بعضها؟ لم يرد له ذكر عن السلف في تفسير الآية فيما وقفت عليه الباحثة من أقوالهم وأثارهم.
2) أنه يؤدي إلى أن آدم تكلم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة، وأنّ تلك اللغات انتقلت إلى أولاده فلا يتكلمون إلا بها، ودعوى هذا كذب ظاهر.
3) أنَّ آدم (عليه السلام) لم يَنقل عنه هذه اللغات إلا بَنوه، وقد أغرق الله تعالى عام الطوفان جميع ذريته إلا من في السفينة، وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ)[5] قال ابن عباس في تفسير الآية: (لم يبقَ إلا ذرية نوح)[6]، وهم لم يتكلموا بجميع ما تكلمت به الأُمم بعدهم.
4) قد أجرى الله عادة بني آدم أنهم إنما يعلمون أولادهم لُغتهم التي يخاطبونهم بها، أو يخاطبهم بها غيرهم، وأمَّا لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلّمونها أولادهم.
5) أنَّ اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يُحصيه إلا الله تعالى، والعرب أنفسهم لكل قوم منهم لغات ولهجات لا يفهمها إلا أصحابها، ولا يفهمها

---

[1] أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. تفسير أبي السعود، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ج1 ص83.
[2] (سورة: البقرة) {آية:31}
[3] جزء من حديث أنس (رضي الله عنه) في الشفاعة، أخرجه البخاري وقد سبق تخريجه، ص53.
[4] هذه الوجوه التالية في الرّد مُستفاده من كتاب ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج7 ص91-96.
[5] (سورة، الصافات) {آية:77}
[6] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج23، ص67.

غيرهم، فكيف يُتصوّر أن تنقل هذه اللغات كلها عن أولئك الذين كانوا في السفينة، وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل، وانما النسل لنوح (عليه السلام) وجميع الناس من أولاده.

6) ذكر أهل التاريخ[1] أن أولاد نوح (عليه السلام) الذين بقوا بعد الطوفان ثلاثة فقط، وهم سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش، وإذا كان كذلك، فهؤلاء الثلاثة لا يمكنهم أن ينطقوا بهذه اللغات كلها، ويمتنع نقل ذلك عنهم.

7) هناك تفاوت بين اللغات في سعتها وألفاظها وكلماتها ومدلولاتها... فنرى أن أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية، ففيها من أسماء الأصوات والأولاد والبيوت والحيوانات وما إلى ذلك ما ليس في غيرها، فلو كانت هذه اللغات كلها مأخوذة عن آدم لعلّم جميع أولاده لغات مُتناسبة، فتفاوت هذه اللغات بهذا الشكل يوحي بأنها ليست مُتلقاة عن أبي البشر آدم.

8) قال الله تعالى: (الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[2] وقال: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى)[3] ، فالله (سبحانه وتعالى) ألهم النوع الإنساني المنطق والتعبير عمّا يريده ويتصوره بلفظه كما ألهم غيره، وأوّل من عُلّم ذلك أبوهم آدم، وهم توارثوا عنه وعلموا كما علم – وإن اختلفت اللغات– ولذلك نرى أن بني آدم قد يتكلمون بألفاظ لم يسمعوها قط من غيرهم، فلا يصح أن يقال: إن آدم كان عالماً بجميع اللغات التي تكلّم بها بنوه إلى اليوم، وما سيتكلمون بها إلى يوم القيامة، والله أعلم.

القول الثاني: أنّ آدم كان يتكلم بالعربية[4]، ويُستدل له بما قيل: أنّ الملائكة يتكلمون بالعربية، والدليل على ذلك قول الملائكة لآدم كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: (خلق الله عز وجل آدم على صورته ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله ..... الحديث.[5]

---

[1] ابن كثير. البداية والنهاية، ج1، ص115.

[2] (سورة: الرحمن) {آية:1-4}

[3] (سورة: الأعلى) {آية:1-2}

[4] القسطلاني، أحمد بن محمد. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية– مصر، ط7، 1323هـ، ج13، ص230.

[5] رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: يدخل الجنة أقوام افئدتهم مثل أفئدة الطير، ج4 ص2183 حديث رقم: 28

قال القسطلاني: (قيل: إنّ في الحديث أنّ الملائكة يتكلمون بالعربية)[1] فإن دلّ الحديث على أنّ الملائكة يتكلمون بالعربية، عُلم بها أنها لغة آدم من باب أولى، لأنه هو الذي بدأ بالسلام عليهم والتحية لهم، ثم هم رَدّوا عليه السلام وزادوه: "ورحمة الله".

وكذلك قوله: "السلام عليكم" يوحي بأنَّ العربية هي لُغته، إذ لا يوجد في أي لغة من لغات العالم ما يعادل هذه الكلمة، بما فيها من معان، أو ما يقاربها، فيما يقوله الناس من الألفاظ والكلمات عند لقاء الآخرين والدعاء لهم، ولا شك أن اللغة العربية هي أقوى اللغات البشرية وأوسعها وأجمعها وأفصحها وأفضلها، وقد قال ابن حزم عن اللغة التي علّمها الله آدم: (إنّنا نقطع على أنها أتمّ اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلّها إشكالاً، وأشدّها اختصاراً)[2] فقد تكون العربية التي اختارها الله لصفيّه ونبيّه أبي البشر آدم.

وقال عبد الملك بن حبيب[3]: (كان اللسان الأوّل الذي نزل به آدم من الجنة عربياً، إلى أن بعد العهد وطال فصار سريانيا)[4].

ولكنّ هذا القول لا يمكن الجزم به، فإنّ الاستدلال بسلام آدم على الملائكة وجوابهم بالسلام والرحمة له على أن الملائكة تكلموا معه بالعربية، لا يخلو من النظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي:

1- لقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين، من أحداث الأمم الماضية ووقائعهم شيئاً كثيرا، بلسان عربي مبين، وهذا لا يعني بالضرورة أنّ ما جرى من ذلك كان باللغة العربية، وأنهم كانوا يتكلمون بها، بل الله (سبحانه وتعالى) حكى لنا معاني كلامهم في لُغتهم باللغة العربية التي بها نزل القرآن الكريم[5].

---

[1] سبق تخريجه، ص57.

[2] ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد. الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، دار الإفتاء الجديد، بيروت، د.ط ج1 ص31.

[3] عبد الملك بن حبيب بن سليمان الأندلسي، قال عنه الذهبي: (كان موصوفاً بالحذق في الفقه كبير الشأن بعيد الصيت... إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن)، توفى سنة 238هـ. انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء ج12، ص102.

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1 ص28.

[5] الآمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي. الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط، ج1 ص76.

2- ذكر القرآن الكريم عن كثير من الرسل والأقوام طرحهم السلام، منها: في قصة إبراهيم: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)[1] ومنها في قصة موسى وهارون (عليهما السلام) أنهما قالا لفرعون: (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) وغيرها الكثير، فهل يمكن أن نعتبر ذلك دليلا على أن السلام كان باللغة العربية؟ فيتبيّن مما سبق أن الاستدلال بسلام آدم (عليه السلام) على الملائكة، وبردّهم السلام عليه، على أنَّ الملائكة تكلموا مع آدم (عليه السلام) بالعربية، بعيد.

وأمّا قول عبد الملك بن حبيب، وما ذكره بعض المؤرخين، فمُحتمل إلى حد كبير لو صحّ، ولكن هذا من أُمور الغيب لنا، فلا يمكن الأخذ به على وجه اليقين والقطع، ولا يمكن الجزم بأنَّ اللغة العربية هي التي نزل بها آدم من الجنّة. قال ابن حزم: (لا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليها أولاً، إلا أّننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلها إشكالاً.... ولا ندري لعلّ قائِلاً يقول: لعلّ تلك اللغة قد درست البَتَّة، وذهبت بالجُملة، أو لعلها إحدى اللغات الباقية، لا نعلمها بعينها، وهذا هو الذي توجبه الضرورة، وقد يُمكن أن يكون الله تعالى وقف آدم على جميع اللغات التي ينطق بها الناس إلى اليوم، ولعلها كانت حينئذٍ لُغة واحدة مترادفة الأسماء على المُسمّيات، ثم صارت لُغات كثيرة، إذ توزعها بنوه بعد ذلك، وهذا هو الأظهر عندنا والأقرب، إلا أننا لا نقطع على هذا، كما لا نقطع على أنه لا بُدَّ من لُغة واحدة وقف الله تعالى عليها)[2].

وترى الباحثة أنّ الأقوال في بيان لُغة آدم تم ذكرها بدون أي دليل من نقل صحيح أو منطق سليم، فلا يمكن الجزم بها ولا عبرة بها، فلا يمكن تعيين اللغة التي كان يتكلم بها آدم على وجه اليقين، والله أعلم بالصواب.

---

[1] (سورة: هود) {آية:69}

[2] ابن حزم الظاهري. الإحكام في أصول الأحكام، ص36.

المطلب الثالث: العبر والدلالات من تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء

تعليم الله الأسماء لآدم (عليه السلام) هي نعمة منّها الله تعالى عليه، اذ علمه الأسماء وأمره بتعليمها للملائكة، فنال آدم بذلك شرف التعلم من معين العلم الإلهي، ثم شرف تعليم الملائكة، وهو ما أشار إليه منطوق العبارة الصريح في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ)[1]، هذا ومن خلال استقراء الباحثة للآيات القرآنية التي ذكرت تعليم آدم (عليه السلام) الأسماء، يمكنها أن تُجمل العبر والدروس من ذلك في عِدّة نقاط:

1) طالب العلم لا بُدَّ له من مُعلم، يبسّط له مسائل العلم لتحصيلها واستيعاب مضامينها، بأدلتها وبراهينها وشواهدها، ودليل ذلك من الآيات السابقة: قول الله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا....) فآدم (عليه السلام) إنما أخذ علم الأسماء من الله تعالى، مما يُفيد أن الله هو مُعلّم آدم، وأنَّ فضل تعلمها إنما هو لله تعالى وحده، العليم بكل شيء، وفي هذا السياق، تتضح أهمية وجود المعلم في حياة المتعلم.
2) تفضيل آدم على الملائكة وسائر المخلوقات بالعلم، فهذا الشرف خصّ الله به آدم (عليه السلام) لاستحقاقه إياه.
3) أنَّ لمعرفة الملائكة حدا وقدرا، فهي لا تعلم الغيب، إذ لو كانوا يعلمون لعرفوا معاني الأشياء عندما طلب الله ذلك منهم (أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ. .... قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا)[2].
4) الأدب الجمّ من المتعلم تجاه المعلم (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا)[3].
5) نستدلّ من قصة تعليم الله الأسماء لآدم، ثم أمره لآدم بتعليمها للملائكة على وجوب تبليغ العلم لمن لا يعلمه، وأنّ من علم علما فلا بدّ أن يعمل بما علم، وأن من العمل بالعلم تبليغه من يستحقه من طلابه وطالبيه، ودليل ذلك قوله تعالى: (قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ....)[4]، وأن الحُجّة تقوم بالتبليغ كما بيّن تعالى بقوله: (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[5].

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:31-33}
[2] (سورة: البقرة) {آية:31-32}
[3] (سورة: البقرة) {آية:31}
[4] (سورة: البقرة) {آية:33}
[5] (سورة: البقرة) {آية:33}

6) وجوب نفي الأعلمية ولزوم تسليم وردّ مطلق العلم لله، قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[1]، والشاهد من هذه الآيات قول الملائكة (عليهم السلام) (.... سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا....). فقد نفى الملائكة (عليهم السلام) أن يكون لهم علم بحقيقة الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم (عليه السلام)، وأنَّ العلم بها وبغيرها انما هو لله العليم بكل شيء. قال ابن كثير في تفسيره: "هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئاً إلا ما علّمهم الله تعالى، ولهذا قالوا: (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، أي العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك، وفي تعليمك ما تشاء، ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام.[2]

7) وجوب التواضع لأهل العلم، وهذا توضحه الآية الكريمة: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[3]، حيث إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم تشريفا له بما علمه.

8) تعليم الله لآدم يُفيد أنَّ صلاح الإنسان منوط بالعلم، وانَّ نهضة البشر وانتظام احوالهم انما سبيله طلب العلم، وهذا جليّ من تعلم آدم الأسماء كلها، بعد أن أتمَّ الله عز وجل له الخلق، وهو واضح الدلالة في أنّ هذا الخَلق الآدمي ونسله في حاجة إلى ما يصلح أحوالهم وهذا لن يكون إلا بالعلم[4].

9) السمع والطاعة: فعندما يتخلق المتعلم بأدب السمع والطاعة، فذلك يضفي عليه سمة المرونة والإيجابية في تعامله مع المعلم والزملاء، فيكون فاتحة خير لتلقي العلوم وتشرّب القيم بالتواصل معهم، وذلك مصداقا لقوله تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[5].

10) الفتوى بعلم: وفيها درس أيضاً لمن يتصدر للتعليم وللتعلّم، بأن يحيط بأنواع العلوم فيأخذ بشيء عن كل علم، ويأخذ كل شيء عن العلم مجال التخصص، ليكون أقدر على ممارسة

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:31-32}

[2] ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج1، ص120.

[3] (سورة: البقرة) {آية:34}

[4] المزيّن، سليمان حسين، الأستاذ المساعد بقسم أصول التربية الجامعة الإسلامية- غزة، قراءة تربوية في قصة خلق آدم (عليه السلام)، رسالة ماجستير، سنة 2009/2008م، ص45.

[5] (سورة: البقرة) {آية:32}

مهنة التعليم، وذلك مصداقا لقوله تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[1] فالمعيار إذن للحديث وابداء الرأي في هذا الموضوع هو العلم، فما كان على الملائكة إلا أن تُسلّم بعدم علمها.

11) التسليم والرضا: وهذا مأخوذ من قول الملائكة لله تعالى: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)[2]، فهم سلّموا لله تعالى ورضوا بما أمرهم به.

12) التفضيل يكون للعلم، فيرضى المتعلم ويَقر بالنتائج ويكون وقافاً عند حدود الله، ولا يفتي بدون علم، ولا يُكابر إذا ما جانب رأيه الصواب، لذا كان من ضروريات القيام بواجب الاستخلاف، أن يُعدَّ آدم إعداداً خاصاً، ويتطلب ذلك أن يكون لديه قابلية للعلم، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[3].

13) وفيه أدب المراجعة والتوبة وأدب السؤال وعدم تعدّي الإنسان في المراجعة.[4]

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:32}

[2] (سورة: البقرة) {آية:32}

[3])سورة: البقرة) {آية:31-32}

[4] المزيّن، سليمان حسين. قراءة تربوية في قصة خلق آدم (عليه السلام)، ص48.

المبحث الرابع: أمرُ الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: ما ورد في القرآن حول أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)

كَرّم الله تعالى آدم وخصّه بميزات وفضائل كثيرة، ومن ذلك أنَّ الله تعالى أسجد له ملائكته، وقد جاء ذكر هذه الفضيلة العظيمة لآدم (عليه السلام) في سبعة مواضع من كتاب الله، وفي كثير من أحاديث النبي (ﷺ)، وفيما يلي ذكر تلك الآيات الدالة على سجود الملائكة لآدم، وبعض الأحاديث الواردة في ذلك:

الآيات القرآنية الدالّة على سجود الملائكة لآدم:

قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[1] وقال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليس لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ)[2] وقال: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبليس أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)[3] وقال: (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليس)[4] وقال: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)[5] وقال: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليس أَبَى)[6] وقال: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبليس اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[7] .

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:34}

[2] (سورة: الأعراف) {آية:11}

[3] (سورة: الحجر) {آية:28-31}

[4] (سورة: الإسراء) {آية:61}

[5] (سورة: الكهف) {آية:50}

[6] (سورة: طه) {آية:116}

[7] (سورة: ص) {آية:71-74}

ومن الأحاديث النبوية الدالة على سجود الملائكة لآدم (عليه السلام):

عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كلّ شيء، فاشفع لنا عند ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحاً فإنه أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ..... الحديث"[1].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): "احتجَّ آدم وموسى (عليهما السلام) عند ربهما، فحاجَّ آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقرّبك نجيّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قال موسى: بأربعين عاما. قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: نعم قال: أتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله: فحجَّ آدم موسى"[2].

معنى سجود الملائكة لآدم:

لا شَكَّ أنّ الله تعالى أمر ملائكته أن يسجدوا لآدم (عليه السلام)، كما بَيّن الله ذلك في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين، وقد اتفقت الأمة على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة لآدم (عليه السلام)،[3] ثم اختلفوا في بيان معنى سجود الملائكة له على أقوال:

القول الأوّل: وهو قول لبعض الفلاسفة، حيث قالوا: إن الملائكة هي قوى النفس الصالحة، والشياطين هي قوى النفس الخبيثة، وسجود الملائكة لآدم (عليه السلام) معناه طاعة القوى الصالحة للعقل، وامتناع الشياطين عن السجود معناه عصيان القوى الخبيثة للعقل[4]، وهو قول باطل لعدة وجوه:

---

[1] رواه البخاري، سبق تخريجه، ص53.

[2] رواه البخاري، سبق تخريجه، ص53.

[3] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج2، ص212/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص293.

[4] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص238/ ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج4، ص127/ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. الرّد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ص106/ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. الصواعق المرسلة في الرّد على الجهمية والمُعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1408هـ، ج4، ص1546.

أحدها: الايمان بالملائكة من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وأخبرنا عنه عن طريق الوحي، والفلاسفة في الحقيقة ليس عندهم شيء من الإيمان بالغيب، فهم منكرون لحقيقة الإيمان وأركانه[1]، وإن كان من يذهب منهم إلى الجمع بين الآراء الفلسفية، والأخبار النبوية يوحي ظاهر كلامهم أنهم مُقرّون بالإيمان بالغيب، ولكنّ حقيقة كلامهم ومؤداه يكون النفي وعدم الإيمان به[2]، فهم يؤولون الآيات والأحاديث الدالّة على وجود الملائكة تأويلاً يُفضي إلى إنكارهم[3].

الثاني: بيّن الوحي بأنّه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأنه سجد له الملائكة كلّهم امتثالاً لأمر ربهم، وأنّه لم يشذ ممن أمر بالسجود له إلا إبليس، فالقول بأن امتناع إبليس عن السجود معناه عصيان القوى الخبيثة للعقل مخالف لذلك، إذ لم يكن أحد من الشياطين مأموراً بالسجود لآدم إلا أباهم الذي أبى وعصى واستكبر، ولم يكن مأموراً بالسجود منهم غيره.[4]

القول الثاني: أنّ سجود الملائكة لآدم معناه تسخير هذا العالم للآدميين، وأنّ الكون بما فيه من المواد الأرضية والمعدنية ونحوها قد سخرها الله لهم، وأعطاهم القدرة على الانتفاع بها والتصرّف فيها[5].
وهناك تأويل آخر بأن سجود الملائكة لآدم معناه موالاتهم لآدم وبنيه، وخدمتهم وسعيهم لما يفيد بني آدم في حياتهم، ومعاشهم إلى يوم القيامة، وهذا القول ذهب إليه: الأُستاذ طنطاوي جوهري[6] والدكتور عبد الصبور شاهين وطائفة من العصريين، الذين يريدون أن يُفسروا القرآن تفسيرا عصريا، تأثراً بالمناهج والأفكار والنظريات الوافدة الفاسدة[7]، ففسّروا القرآن الكريم بما يخالف روح الإسلام، ولا يتفق مع الغاية والحكمة التي من أجلها أنزلت الكتب وأُرسلت الرسل، وتأويلهم هذا باطل لوجوه:

---

[1] ابن تيمية. الرد على المنطقيين، ص139.

[2] المصدر السابق، ص196.

[3] ابن تيميه، مجموع الفتاوى، ج4، ص346.

[4] ابن تيميه. الفتاوى الكبرى، ج4، ص346.

[5] الذهبي، محمد السيّد حسين. التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، ج2، ص64/ الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، دار الرسالة، السعودية، ط1، 1407هـ- 1986م، ج3، ص1091/ مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، دار المعارف، مصر، ط1، 1999م، ص68.

[6] طنطاوي بن جوهري المصري، كان مولعاً بالعلوم الحديثة، وحاول أن يُفسر القرآن تفسيراً ينطوي على كل ما وصل إليه البشر من العلوم، ولذلك تعرَّض لنقد كبير من العلماء حتى إن المملكة العربية السعودية منعت تفسيره من الدخول في المملكة، وتوفي سنة 1358هـ. أُنظر: الزركلي. الأعلام، ج3، ص230. وانظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص505.

[7] الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص522.

الأوّل: أن هذه التفسيرات لا تستحق أن تُسمّى تفسيرا لكتاب الله تعالى، بل هي أقرب إلى التحريف من التفسير لكتاب الله تعالى، فإنه لا فرق بينها وبين تحريف الباطنية والقرامطة، الذين يُفسّرون القرآن حسب أهوائهم وخواطرهم ووسائلهم، بغير هدى من الله ولا هدى من رسول الله[1].

الثاني: إذا أُوّلت هذه الآيات بمثل هذه التأويلات الباطلة، فمن الممكن حينها أن يصل هذا التأويل لغيرها من الآيات القرآنية، فينقلب القرآن بعدما كان تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة، إلى رموز وإشارات وألغاز وأحاجي[2].

الثالث: القول بأنَّ سجود الملائكة لآدم معناه تسخير هذا الكون وما فيه من القوى للإنسان، يوحي بإنكار وجود الملائكة، الذين لا يصحّ الايمان إلّا بالإيمان بهم.

الرّابع: أنَّ هذه التفسيرات ليس لها ما يساندها من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ولا تدّل عليها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

القول الثالث: أنّ الملائكة سجدوا لآدم بأمرٍ من الله (سبحانه وتعالى)، فسجودهم كان طاعةً لله وقربة إليه وعبادة له (سبحانه وتعالى)، وكان في الوقت نفسه تكريماً وتشريفاً وتعظيماً لآدم، والله (سبحانه وتعالى) يُكرم من خَلْقه من يشاء بما يشاء كيفما يشاء، فله الأمر كله، وله الحكم كله، ويفعل ما يريد[3] قال قتادة في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ....): (فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته)[4] وهذا قول الجمهور[5]، وبه قال ابن جرير الطبري، واختاره أبو بكر الجصاص[6] والرازي والبغوي وشيخ الإسلام ابن تيميه والحافظ ابن كثير[7].

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وزارة الشؤون الاسلامية، السعودية، ط1، 1422هـ ج8، ص326.

[2] السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ج8، ص326.

[3] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج4، ص360.

[4] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص229.

[5] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير ج1، ص302.

[6] احمد بن علي الرازي الجصاص، من كبار الحنفية، قيل: كان يميل إلى الاعتزال، توفي سنة 370هـ. أُنظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج16، ص340.

[7] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص228.

وترى الباحثة أنّ هذا القول هو الصواب، لموافقته للكتاب والسنة وأقوال السلف، ولأنه أنسب وأليق بالمقام الذي هو إظهار الفضل لآدم (عليه السلام)، فهو أكثر دلالة على تعظيم آدم وتشريفه وتكريمه، ولا شكّ أن تكرار الأمر في المواضع السبعة، يدلّ على هذا المعنى الحقيقي للسجود، فلا داعي للتأويل، والله أعلم بالصواب.

كيفية سجود الملائكة لآدم (عليه السلام)

اختلف المفسرون في كيفية سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) على أقوال:

القول الأوّل: أنّ سجود الملائكة كان إيماء، هذا القول مروي عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي[1]. ويُردّ على هذا القول بما يلي:

أولاً: أنَّ هذا الأثر لم يصح إسناده إلى قائله، لأنَّ فيه راوياً اسمه عبد الله بن المؤمل المخزومي المكي، وهو ضعيف، كما قال أئمة الجرح والتعديل[2] فهذا القول المنسوب إلى محمد بن عبّاد المخزومي غير ثابت عنه، فلا عبرة برواية لم يصح سندها إلى قائلها، ولا التفات إلى قول لم يثبت عن المحكي عنه.

ثانياً: ليس هناك دليل يدّل على أن سجود الملائكة لآدم كان إيماء.

ثالثاً: هذا خلاف ظاهر لما جاء في القرآن الكريم حول سجود الملائكة لآدم (عليه السلام).

رابعاً: هذا مخالف لما عليه جمهور المفسرين، ولما هو معروف في اللغة العربية.

القول الثاني: سجود الملائكة لآدم، يعني مُجرَّد الخضوع والتذلّل والانقياد والاعتراف بالفضل له، من غير أن يكون هناك سجود بوضع الجبهة على الأرض، ذكره الرازي وابن كثير والشوكاني وصديق

---

[1] أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر. العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد ادريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408، ج1، ص1562. ومحمد بن عبّاد بن جعفر بن رفاعة المخزومي المكي، روي عن جماعة من الصحابة، ثقة، أخرج له الجماعة. انظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ - 1980م، ج25، ص433.

[2] النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شُعيب. الضعفاء والمتركون، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط1، 1396هـ، ص141.

حسن خان[1]، ولكنهم لم يرضوا به بل ضعّفوه،[2] واختاره بعض المتأخرين،[3] وقريب من هذا القول ما ذكره ابن الجوزي.[4] وقاله جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي[5] والبغوي[6] من أن سجود الملائكة لآدم كان بالميل والانحناء له.

وهذا القول فيه نظر، فإنه لا شك أن من معاني السجود في اللغة العربية الخضوع والتذلل والانقياد والانحناء، إلا أن ما ذكروه يخالف ظاهر القرآن الكريم، أي: قوله تعالى: (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) وهذا أمر من وقع يقع وقوعاً، وهو السقوط، ففيه دليل على أن المأمور به ليس مُجرد الانحناء أو مجرد الخضوع والتذلل كما قيل، بل معناه اسقطوا له ساجدين[7]، وذلك لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض، وهذا هو المعنى للسجود في العُرف الشرعي[8].

القول الثالث: أنّ الملائكة خروا على وجوههم ساجدين لآدم، امتثالاً لأمر ربهم، فكان سجودهم لآدم بوضع الجبهة على الأرض، مثل سجود بني آدم في الصلاة، وهذا القول ذهب إليه جمهور المُفسرين[9]، وهو ما يتفق مع ظاهر الكتاب العزيز، ومع العُرف الشرعي للسجود، ويؤيده ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويلي! أُمِر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنّة، وأُمرتُ بالسجود

---

[1] صديق حسن خان (1248-1307)هـ: هو محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيّب، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي، وسافر إلى بهوپال طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، قال في ترجمة نفسه: (ألقى عصا الترحال في محروسة بهوپال، فأقام بها وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألف وصنف) وتزوج بملكة بهوپال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج4 ص207.

[2] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص213/ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ، ج1، ص66.

[3] البهي الخولي. آدم (عليه السلام)، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2000، ص76/ النجار، محمد الطيّب. تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، مكتبة المعارف، ط1، 1983م، ص51.

[4] الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ، ج1، ص64.

[5] المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ص6.

[6] البغوي. معالم التنزيل في تفسير القرآن ج1، ص62.

[7] الشوكاني. فتح القدير، ج3، ص130.

[8] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج2، ص213.

[9] ابن الجوزي. زاد المسير، ج1، ص64/ الشوكاني. فتح القدير، ج1، ص66.

فأبيتُ، فلي النار)[1]، ولا شكّ أن سجود بني آدم عند آيات السجود القرآنية، يكون بوضع الجبهة على الأرض، وذلك هو أقصى معاني السجود وغايته، ثم إنَّ حمل سجود الملائكة لآدم على أقصى معاني السجود اللغوية أي: وضع الجبهة على الأرض أكثر دلالة على تعظيم آدم، وأنسب بأحوال الملائكة الذين من صفاتهم أنهم (لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[2].

لذا وبعد ذكر جميع الأقوال في كيفية سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) وتمحيصها والرد عليها فإن الباحثة ترى بأن القول الأخير، وهو أنَّ الملائكة خروا على وجوههم ساجدين لآدم، امتثالاً بأمر ربهم هو القول الصحيح من الأقوال والله أعلم.

الملائكة الذين سجدوا لآدم (عليه السلام)

من هم الملائكة الذين سجدوا لآدم؟ وهل أُمروا بالسجود كلّهم أم بعضهم؟ اختلفت أقوال أهل العلم في ذلك، ويمكن تلخيصها في قولين، وفيما يلي ذكرهما، وبيان الراجح منهما:

القول الأوّل: لم يسجد لآدم جميع الملائكة، وإنما سجد له طائفة منهم، وهذه الطائفة من الملائكة التي سجدت لآدم فيها أقوال:

فقيل: هم ملائكة الأرض دون ملائكة السماء، وهذا القول محكي عن ابن عباس وأبي العالية[3].

وقيل: انما اسجد الله لآدم ملائكته الذين كانوا في السماء الدنيا دون ملائكة السماوات، هذا القول محكي عن ابن جرُيج[4].[5]

وقال أبو حامد الغزالي: الملائكة الأرضية الموكلة بجنس الإنس، هي التي سجدت لآدم، ولم يسجد له الملائكة السماوية، ولا سيّما أعلاهم والمقربون من الذين لا التفات لهم إلى غير الله تعالى، لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وجلالها[6].

---

[1] رواه مسلم، مصدر سابق، كتاب: الايمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ج1، ص87، رقم الحديث 133

[2] (سورة: التحريم) {آية:6}

[3] أبو العالية: رفيع بن مهران، الامام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي (ﷺ) وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من كثير من الصحابة. أنظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج4 ص207/ الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص201/ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج1، ص75.

[4] ابن جريج (80-150)هـ: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد، فقيه الحرم المكيّ، كان إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، روميّ الأصل، من موالي قريش، مكّي المولد والوفاة، قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس. أنظر: الزركلي. الأعلام، ج4 ص160.

[5] أبو الشيخ الأصبهاني. العظمة، ج5، ص1562.

[6] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. جواهر القرآن، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م، ص27.

هذه الأقوال تدّل على أنّ آدم لم يسجد له جميع الملائكة، وإنما سجد له طائفة منهم، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها، فإنها باطلة، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي:

أولها: استدل بعض أصحاب تلك الأقوال بأحاديث لا أصل لها.

الثاني: هذا القول مخالف لصريح القرآن الكريم، أي: قوله تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)[1] فهذه الآية عامّة مؤكدة تأكيداً بعد تأكيد، وإذا أراد شخص أن يخبر أحدا أن جميع الملائكة سجدوا لآدم، لا يمكنه أن يأتيَ بعبارة أبلغ وأفصح من هذه الآية، فكيف يسوغ أن يُقال: إنه لم يسجد جميع الملائكة لآدم.

الثالث: أمّا قول بعضهم بأنهم مُتفرغون بجمال الحضرة الإلهية، ولا يلتفتون إلى غير ذات الباري تعالى، فهذا الكلام غريب ولا دليل عليه[2].

القول الثاني: أنَّ الله تعالى أمر جميع ملائكته بالسجود لآدم، ولم يبقَ منهم أحد إلا وقد شمله الخطاب الإلهي بالسجود لآدم، فامتثلوا لأمر ربهم، وسجد له الملائكة كلهم، وهذا قول جمهور المفسرين، وهو الذي عليه عامّة أهل العلم بالكتاب والسُنّة[3].

وأدلة هذا القول من الكتاب والسُنّة:

أولاً: الأدلة من الكتاب العزيز: ذكر الله تعالى سجود الملائكة لآدم في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وكلها تدّل على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم بأمر من الله (سبحانه وتعالى)، ومن ذلك مثلا: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[4]، إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرتها الباحثة في بداية هذا المبحث.

فهذه الآيات القرآنية تدّل على أنَّ جميع الملائكة أُمروا بالسجود لآدم، وأنهم جميعا امتثلوا لأمر ربهم، فسجدوا لآدم، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي:

---

[1] (سورة: الحجر) {آية:30}

[2] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. بُغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1408هـ، ص226.

[3] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج14، ص31/ البغوي. معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3، ص49/ ابن الجوزي. زاد المسير في علوم التفسير، ج1، ص64/ ابن تيميه، الفتاوى الكبرى، ج4، ص362/ ابن تيميه. بُغية المرتاد، ص223/ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج1، ص79.

[4] (سورة: البقرة) {آية:34}

أ- الاسم المجموع المُعرّف بالألف واللام لغير المعهود يقتضي العموم، ويوجب استيعاب الجنس كله[1]. وقد قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ)، فالملائكة من ألفاظ الجموع، وهو اسم مُعرّف بالألف واللام غير المعهودة مثل: المسلمين، والمشركين، والذين، والشخص العربي السليم بمجرد أن يسمع هذه الألفاظ، يفهم منها العموم، من غير إشكال أو حاجة إلى الاستفسار[2].

ب- قال تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إبليس) وصيغة "كلّ" من أبلغ العموم. فلو لم يكن الاسم الأول المجموع المعرف بالألف واللام موجباً للاستيعاب والاستغراق، لكان توكيده بصيغة "كلّ" موجباً لذلك ومُقتضياً له[3].

ت- لو لم تفد صيغة "كلّ" تلك الإفادة العامّة لكان قوله تعالى: (أَجْمَعُونَ) دالاً على العموم، لأنّ صيغة "جميع" وما تُصرف منها، هي من ألفاظ العموم كذلك، وليس هذا كله إلا تحقيقاً للعموم، وتوكيداً له بعد توكيد[4].

ث- ذكر الله تعالى أن الملائكة كلّهم سجدوا لآدم، ولكنه تعالى استثنى منهم إبليس، واستثناء الشخص الواحد منهم يدّل على أن من عدا ذلك الشخص كان داخلاً في ذلك الحكم[5].

ثانياً: الأدلة من السنّة النبوية: لقد جاءت الأحاديث النبوية موافقة لكتاب الله تعالى، فقررت ما قررته الآيات القرآنية، وبيّنت أن الله تعالى كرّم آدم بأن أسجد له ملائكته، بأسلوب يدّل على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم، والدليل على إرادة العموم صحة الاستثناء، وقد استثنى إبليس، فدلّ ذلك على عموم الملائكة، ومن الأحاديث الدالة على سجود الملائكة لآدم ما رواه أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، واسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كلّ شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم – أي لست كما تظنون أني أستطيع أن أشفع لكم، فليس

---

[1] نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع. شرح مُختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407هـ - 1987م، ج2، ص466.

[2] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج4، ص345.

[3] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج4، ص345.

[4] المصدر السابق، ج4، ص363.

[5] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص238.

ذلك عندي، وهنا للقريب والكاف للخطاب[1] – ، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحاً، فإنه أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض .... الحديث"[2].

وترى الباحثة أنّ القول الثاني بأنّ الملائكة المأمورين بالسجود هم جميع الملائكة، هو الموافق لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية بصيغ وأساليب تدّل على العموم، ولم يقترن بشيء منها ما ينافي العموم ويدّل على التخصيص.

[1] العيني، بدر الدين الحنفي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د.ط، ج26 ص390.

[2] رواه البخاري، سبق تخريجه، ص53.

هل كان سجود الملائكة لآدم في وقت واحد أم في أوقات مختلفة؟

ذكر جماعة من المفسرين أن جميع الملائكة سجدوا لآدم في وقت واحد، غير متفرقين في أوقات مختلفة، وقد استدلوا لذلك بقوله تعالى: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فقالوا: قوله تعالى: (كُلُّهُمْ) يدّل على الإحاطة، أي: الملائكة كلهم سجدوا لآدم، ولم يبق منهم أحد الا خرَّ ساجدا له، وقوله تعالى: (أَجْمَعُونَ) يدّل على المعية والاجتماع في السجود، بحيث لم يتأخر أحد منهم عن أحد، بل كلهم سجدوا معاً في وقت واحد[1].

وقد سئل المبرد[2] عن هذه الآية فقال: (لو قال: (فسجد الملائكة) احتمل أن يكون سجد بعضهم، فلما قال: (كُلُّهُمْ) زال هذا الاحتمال، فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم عند هذا بقي احتمال، وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت، فلما قال: (أَجْمَعُونَ) ظهر أنهم سجدوا جميعا دفعة واحدة[3]. وقال الزمخشري: (كل: للإحاطة، وأجمعون: للاجتماع، فأفادا معاً أنهم سجدوا عن آخرهم، وما بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات)[4]. ومثله قال النسفي[5]. ولكن يمكن الرد على هذا القول بأنه لو كان المقصود بالآية الدلالة على المعيّة، وبيان أنَّ الملائكة كلهم سجدوا مُجتمعين في وقت واحد، غير متفرقين في أوقات مُختلفة لكان قوله تعالى: (أجمعون) منصوبا على الحال، ولقال (سبحانه وتعالى): [أجمعين] أي: منصوبا بالياء والنون لكونه حالاً دالاً على أنهم سجدوا معاً في وقت واحد، ولكن الأمر ليس كذلك بل قوله تعالى: (كلهم) توكيد لـ(الملائكة)، و(أجمعون) توكيد ثان له، فهذا توكيد بعد توكيد، يَدّل على أن جميع الملائكة سجدوا، ولكن لا يدّل على أنهم سجدوا في وقت واحد في دفعةٍ واحدة[6].

وقد أجيب على ذلك، بأنه لا دليل على اختصاص لفظ الحال بإفادة كون الملائكة سجدوا في آن واحد، فاستعمال لفظة (أجمعون) يمكن أن تدلّ على هذا المعنى المراد، فهي مُشتقة من (ج م ع)

---

[1] الزمخشري، الكشّاف، ج5، ص281/ الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص445/ والألوسي، روح المعاني، ج23، ص224.

[2] محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد، من أئمة النحو المعروفين مات في أوّل سنة 286هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص576.

[3] البغوي. معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3، ص49.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج5، ص73.

[5] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م، ج3، ص164.

[6] النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد إسماعيل. إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط1409 هـ - 1988م، ج2، ص380.

وهو لفظ يدّل على تضام الشيءْ وعدم تفرقته[1]، ثم إنَّ سجود الملائكة كلّهم لآدم في وقت واحد، أكثر دلالة على تشريف آدم وتعظيمه وتكريمه، وأنسب بأحوال الملائكة وصفاتهم، فهم كما قال الله تعالى عنهم: (لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)[2] و (لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[3].

حكم السجود للمخلوق استدلالاً بسجود الملائكة لآدم (عليه السلام)

لقد ذهب بعض الناس إلى القول بأنَّه يجوز السجود من باب التعظيم، لمن يستحق الاحترام والتقدير والتعظيم، كما سجدت الملائكة لآدم تعظيماً له وتكريماً[4]. وهو استدلال غير صحيح، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: السجود عبادة عظيمة، والعبادة بجميع أنواعها لا تجوز إلا لله، قال تعالى: (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا)[5]، فالله (سبحانه وتعالى) بَيّن لنا في هذه الآية وفي غيرها من الآيات، أنّ السجود من أعظم شعائر العبادة، وهي مُختصة بالخالق (جل وعلا)، فلا يجوز لأحد منا أن يسجد لمخلوق، وقد تساوى في هذه الصفة الشمس، والقمر، والنبي، والولي.....، وكلّ مخلوق.

الثاني: مع كون النبي محمد (ﷺ) نبيّ هذه الأمة، وهو أفضل الأنبياء، والمسلمون مأمورون بمحبته وطاعته والتأدب معه، إلا أنّ الله تعالى لم يأمر أحدا من المسلمين بالسجود له (ﷺ)، فكيف إذاً يمكن أن يكون السجود لغيره؟!

الثالث: عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال (ﷺ): "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"[6]

الرابع: أنّ الله تعالى قد أباح في الشرائع السابقة بعض ما حرمه علينا في شريعتنا، ومن ذلك السجود، فلا يُستدلّ بسجود الملائكة لآدم على جواز السجود لأحد من المخلوقات، لأنه يتعارض مع ما تقرّر في شريعتنا.

---

[1] الألوسي، روح المعاني، ج23، ص224.

[2] (سورة: الأنبياء) {آية:19-20}

[3] (سورة: التحريم) {آية:6}

[4] السبحاني، جعفر. التوحيد والشرك في القرآن الكريم، مؤسسة الإمام الصادق، ط2، 1426هـ، ص51.

[5] (سورة: النجم) {آية:62}

[6] رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب: الرضاع، باب: حق الزوج على المرأة، ج3 ص465 حديث 1159، وقال الألباني: هذا حديث صحيح.

الخامس: السجود كان جائزاً في الأُمم السابقة على سبيل التحيّة والتعظيم فيما بينهم، ولكنها نُسخت في الأُمّة المحمدية، وقد أبدلها الله تعالى التسليم والتحيّة فيما بينها، فأصبح السجود خاصاً لله وحده لا شريك له، ولا يجوز لأحد من المخلوقات، قال قتادة في تفسير قوله تعالى عن أبوي يوسف وإخوته: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)[1]: (كانت تحية من قبلكم، كان بها يُحيّي بعضهم بعضاً، فأعطى الله هذه الأُمّة السلام، تحيّة أهل الجنّة، كرامةً من الله (تبارك وتعالى): عجّلها لهم، ونعمةً منه)[2].

والنصوص الشرعية المتقدمة، من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، الدالّة على عدم جواز السجود لأحد غير الله تعالى، فيها دلالة على صحّة ما قاله قتادة وغيره من المُفسرين[3]، فلا يصح الاستدلال بجواز السجود في الأديان السابقة لبعض المخلوقات، على جواز السجود من أحد من هذه الأُمّة لمخلوق، من شيخ أو وليّ أو صالح، فإنه يُنافي كمال الامتثال لأوامر الله تعالى، بل معصية عظيمة له (سبحانه وتعالى) قد تؤدي بصاحبها إلى الكفر بالله والخروج عن دينه،[4] والله (سبحانه وتعالى) له المشيئة المطلقة، وله الأمر المطلق، فله أن يأمر من شاء بما شاء، وأن ينهى من شاء عمّا شاء، وكان قد أباح لعباده أن يسجد بعضهم لبعض، على سبيل التحيّة والتعظيم فيما بينهم، ولكنه (سبحانه وتعالى) لما نهانا عن ذلك، وأمرنا بالتسليم والتحيّة فيما بيننا، وأمرنا أن نُفرده تعالى بالسجود له، وأن نتوجه إليه بجميع أنواع العبادات، مُخلصين له وحده لا شريك له تعالى، يجب علينا الامتثال بأمر الله تعالى، والانقياد له من غير ضيق، ولا حرج في النفوس، وليس لنا أن نتشبث بما أمر الله به الأولين، ونترك ما أمرنا به ربّنا في كتابه وعلى لسان رسوله.

لذا ترى الباحثة بعد تمحيص ما سبق من الوجوه أنّه يجب السجود لله وحده، ولا يجوز السجود لمخلوق أيّاً كان، وأنَّ الاستدلال بسجود الملائكة لآدم (عليه السلام) على جواز السجود لمخلوق: نبي أو ولي أو عالم أو مُعلم، استدلال باطل قطعاً، والله أعلم بالصواب.

---

[1] (سورة: يوسف) {آية: 23}

[2] أخرجه ابن جرير الطبري، ج13، ص68، يوسف: 100، وصححّ إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ج12، ص376، وحسّنه الشيخ حكمت بشير في التفسير الصحيح، ج3، ص98.

[3] الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ -1994م، ج1، ص37/ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص293/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص77.

[4] الدهلوي، إسماعيل بن عبد الغني. رسالة التوحيد، وزارة الشؤون الاسلامية، السعودية، ط1. 1417هـ، ج1 ص102.

المطلب الثاني: العبر والدلالات من أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم (عليه السلام)

من خلال استقراء الآيات القرآنية التي ذكرت سجود الملائكة لآدم (عليه السلام)، يمكن للباحثة استنباط العبر والدلالات التالية:

1- تكريم آدم وذريته: حيث إن الله تعالى حين أمر الملائكة بالسجود لآدم، دلّ ذلك على مكانة آدم عند الله تعالى، فهو مكرّم، يستحق أن تسجد له ملائكة الله تعالى جميعا بلا استثناء. والتكريم أيضا يمكن أن يشمل ذرية آدم الذين كانوا في صُلبه، ويمكن أن يكون هذا التكريم إشارة إلى تأهيل آدم وذريته ليكونوا خلفاء في الأرض فيما بعد، وبخاصة أن الله تعالى أخبر الملائكة قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) بخلق آدم وجعله خليفة في الأرض: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)[1]

2- تفضيل آدم (عليه السلام) على سائر المخلوقات: حيث إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، ويمكن أن يُفهم أنّ السجود كان أيضا لذرية آدم الذين كانوا في صلبه، فالله تعالى بطلبه من الملائكة السجود لآدم، أشعرهم بأنَّ آدم (عليه السلام) مُفضل على جميع خلق الله، ويمكن أن يشمل هذا التفضيل بعض ذرية آدم، فآدم (عليه السلام) وأيّ واحد من هؤلاء الذرية حين يمتثل أوامر الله تعالى ويعبده حق عبادته رغماً من كونه مخيّرا، فهو أفضل من أيّ من المخلوقات الأخرى، والتي من ضمنها الملائكة، الذين أخبرنا الله بكونهم مسيّرين في الطاعة والعبادة.

3- امتثال الملائكة لأمر الله تعالى بالسجود لآدم، وعدم مخالفة أيّ منهم، يدلّ على صفة من صفاتهم وهي الطاعة المطلقة لله تعالى، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم، حيث قال تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[2]

4- فضل العلم: فالمتتبع للآيات القرآنية، يرى بأنّ الأمر بالسجود جاء بعد تعليم آدم الأسماء للملائكة، حيث قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ،

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:30}

[2] (سورة: النحل) {آية:50}

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[1]، فهذا يشير الى فضل العلم، وكأن الله تعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم لعدة ميزات فيه، ومنها العلم.

[1] (سورة: البقرة) {آية:31-34}

المبحث الخامس: تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد في القرآن الكريم حول تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام).

بعد أن خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وعلّمه الأسماء، أراد أن يكرّمه، فأمر الملائكة بالسجود فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس، فإنه استكبر وأبى وامتنع عن الامتثال لأمر الله تعالى، وقد ورد امتناع إبليس للسجود لآدم في سبعة مواضع قرآنية هي:

قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[1] وقال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ)[2] وقال: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إبليس أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)[3] وقال: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)[4] وقال: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)[5] وقال: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَى)[6] وقال: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إبليس اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[7].

هذه هي المواضع السبعة التي ذكر فيها امتناع إبليس من السجود لآدم، ولو لاحظنا ألفاظ الامتناع وهي: (أبى، استكبر، لم يكن من الساجدين، أبى أن يكون من الساجدين، إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا، كان من الجن ففسق عن أمر ربه)، هذه الألفاظ إنما تكشف لنا عن موقف إبليس الواضح في امتناعه وإبائه السجود، وأنه استقبل أمر الله بالرفض والسخرية في ثلاثة من المواضع السبعة السابقة، حيث يسأل الله فيها إبليس عن السبب في امتناعه عن السجود وهو علّام الغيوب، وفي كلّ

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:34}

[2] (سورة: الأعراف) {آية:11}

[3] (سورة: الحجر) {آية:28-21}

[4] (سورة: الإسراء) {آية:61}

[5] (سور: الكهف) {آية:50}

[6] (سورة: طه) {آية:116}

[7] (سورة: ص) {آية:71}

مرة يحيد عن الجواب المطابق للسؤال، الى غيره مما لا علاقة له بالجواب، مما يدلّ على طبيعته المنحرفة ونفسه الملتوية.

(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)[1] (مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)[2] (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)[3] وهناك إجابة رابعة دون أن يكون هنا سؤال (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)[4].

وليست هذه الأسئلة والأجوبة من قبيل التكرار، وإنما هو سؤال واحد بصيغ مختلفة، فقد وقف إبليس بعد فعلته تلك هذا الموقف الذليل، موقف الاتهام بين يدي الله، والله (سبحانه وتعالى) يُلقي اليه بهذه الأسئلة وهو واجم مُتبلّد، ولم يكن بدّ من أن يُجيب، وحين أجاب، فقد أخذ يثرثر بالأعذار، ويستكثر من الحجج، ليُبرئ ساحته من هذا الاثم الذي أحاط به، كالذي يسكت دهرا وينطق كفراً، فكان جوابه يدلّ على وقاحته وقلة أدبه، بدل أن يجيب مباشرة على السؤال المباشر، ويُظهر السبب الحقيقي من امتناعه عن السجود[5].

إذن فقد أجاب إبليس عن السبب في امتناعه عن السجود، واحتجَّ بأنَّه أفضل من آدم الذي خُلق من طين، في حين أنّ خلقه من النار، والنار في نظره أشرف من الطين، فقد قاس إبليس وهو أول من قاس قياسا باطلا، قاس بين النار والطين، وظنَّ أن النار أفضل من الطين، إذن فقد زعم أنه خير من آدم عنصراً وأزكى منه جوهرا، وظنّ أن لا أحد يباريه في علو قدره وسمو مكانته، (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)[6]، لقد جهر بالعصيان والمخالفة والبهتان، واستكبر عن أمر ربه، واستنكف أن يسجد لمن خلقه الله بيده، فصار من الكافرين[7].

قال ابن كثير: "وقياس إبليس فاسد في نفسه، فإنَّ الطين أنفع وخير من النار، فإنَّ الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق"[8].

---

[1] (سورة: الأعراف) {آية:12}

[2] (سورة: الحجر) {آية:22}

[3] (سورة: ص) {آية:75}

[4] (سورة: الإسراء) {آية:61}

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص66.

[6] (سورة: ص) {آية:76}

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص66.

[8] المصدر السابق، ص66.

يقول الشيخ الشنقيطي: "إنه لو سلمنا جدلاً أنَّ النار خير من الطين، فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم، لأنَّ شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع، بل قد يكون الأصل رفيعا والفرع وضيعا"[1].

وكان رفض إبليس للسجود لآدم استكباراً وغروراً، لذا لم يتب ولم يتراجع وأصر على رفضه السجود، لذا استحق عقوبة الطرد من الجنة، ثم تمّ إبقاؤه الى يوم القيامة، حتى تظلّ جذوة الصراع قائمة بين إبليس وبين ذرية آدم[2].

تعليل إبليس رفضه السجود لآدم (عليه السلام):

إن امتناع إبليس من السجود لآدم، إنما كان عن إباء وكبر وغرور وحسد، وأما الشبهة التي احتجّ بها فإنما ذكرها على سبيل التعنّت، ومع ذلك هي شبهة واهية داحضة، وبيان بطلانها من وجوه:

الوجه الأوّل: أنّ قياس إبليس نفسه على عنصره الذي هو النار، وقياسه آدم على عنصره الذي هو الطين، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم، وأنه لا ينبغي أن يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، فهذا قياس فاسد، لأنه في مقابلة النص الصريح الذي هو قوله تعالى: (اسْجُدُوا لِآدَمَ)[3].

الوجه الثاني: لو سلّمنا بطريق الفرض الباطل، أنّ النار خير من الطين، لم يلزم من ذلك أن يكون المخلوق منها خيرا من المخلوق من الطين، فإنّ شرف الأصل لا يستلزم شرف الفرع[4]، فهذا وأمثاله من كمال قدرة الله (سبحانه وتعالى) بأنه يخلق من المفضول ما هو أفضل، فالتفضيل ليس بالمواد والأصول بإطلاق، بل الاعتبار مع ذلك بكمال النهاية لا بنقص المادة، فإبليس لم يتجاوز نظره محلّ المادة، ولم يَعبرُ منها إلى كمال الصورة ونهاية الخلقة[5].

الوجه الثالث: أنّه لو سُلّم بطريق الفرض الباطل والتسليم، على غير قناعة أنّ قياسه صحيح، وأنه أفضل من آدم، فيمكن أن يقال: إنَّ إكرام الأفضل للمفضول ليس بمنكر، حيث يجوز تولية المفضول

---

[1] الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص135.

[2] العمصي، أحمد جابر محمود. آدم (عليه السلام) بين اليهودية والنصرانية والإسلام دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، 1415هـ - 1994م، ص65.

[3] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص79.

[4] الشنقيطي، اضواء البيان، ج1، ص60.

[5] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج15، ص5.

مع وجود الفاضل، ولا يُنظر إلى من أُمر بالسجود له، وإنما يُنظر إلى الآمر، وكذلك فإنّ كبير القوم خادمهم، وليست الخدمة للضيف مثلا مما يقلّل شأن المرء الكبير الخادم[1].

أثر تكبّر إبليس على بني آدم

إن إبليس لما أُمر بالسجود لآدم، عارض الأمر الإلهي والخطاب الرباني بعقله الفاسد، وادّعى أنّ النار خير من الطين، وذلك يقتضي في زعمه أنّ المخلوق من النار خير من المخلوق من الطين، فهو خير من آدم، وصارت هذه المعارضة الإبليسية ميراثاً في أتباعه من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها:

1- اتّباع ما جاء به إبليس من القياس الفاسد، وتفضيله على آدم: حيث وُجد من يقول بصحّة ما جاء به إبليس من القياس الفاسد، ويُفضله على آدم، فقد ورد عن بشار بن برد[2] أنه كان يُفضّل النار على التراب، وكان يوافق إبليس في تصحيح قياسه الفاسد، وينتصر لإبليس ويصوّب راية الباطل، فقال في ذلك (كما حكي عنه):

الأرض مظلمة والنار مُشرقة والنار معبودة مُذ كانت النار[3]

فهذا البيت صريح في تفضيله النار على الطين، وأنه يزعم أن النار معبودة لشرفها وعظمتها، وأمّا الطين فهو مظلم لا يسمو إلى درجتها في زعمه، وهذا استدلال بالباطل على الباطل، وما بُنيَ على باطل فهو باطل قطعا.

2- التفاخر بالأصول والعروق، والتعالي بالآباء والأجداد، وتقديم الأحساب والأنساب على الإيمان والتقوى: فقد خلق الله تعالى الناس كلّهم من ذكر وأنثى، وجميعهم يرجعون في أصلهم ونسبهم إلى آدم وحوّاء (عليهما السلام)، فهم سواء في هذا الأصل، فلا ينبغي التفاخر بالأنساب، والتعاظم بالآباء، ولكن مع ذلك فكثير من بني آدم يدعون بدعوى الجاهلية، ويفتخرون بالأصول والعروق، ويتطاولون بالأحساب والأنساب، ويتعاظمون بالآباء والأجداد ولا يلقون بالاً للإيمان والتقوى، والمتأمل في أحوال الناس اليوم، يرى أن الحياة المعاصرة في أغلب

---

[1] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص79/ ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج15، ص6.

[2] بشار بن بُرد العقيلي بالولاء، الضرير، شعره في أوّل طبقات المولدين، اتهم بالزندقة فقتله المهدي عليها سنة167هـ، أُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص149.

[3] ابن عاشور، محمد الطاهر. ديوان بشار بن برد، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط1، 1957م، ج4، ص78.

أحوالها قائمة على التقسيم العرقي المذموم، بل إن من الناس من غلا في هذا الباب، فقسّم الناس إلى طبقات، وجعل ذلك من العقيدة والدين، ويزعم أنه وعشيرته أبناء الله وأحباؤه، وأن أرواحهم جزء من الله، وأنَّ الجنة لا يدخلها غيرهم، وأنهم المختصون بالكرم والشرف والاستعلاء والتفوق، وأنَّ أرواح غيرهم أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خُلقوا لتوفير أسباب العيش والراحة لهم، وجُعلوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمتهم[1].

3- الاعتماد على العقل القاصر الضعيف ومعارضة الوحي الإلهي به وتقديمه عليه: إن إبليس قدّس عقله، وعبد هواه، واستقل برأيه، فعارض الأمر الإلهي بعقله الفاسد، ورأى في سجوده لآدم عظماً لشأنه، وكبراً لمنزلته، مع أنّ النظر الدقيق يخالف ذلك، فكذلك وُجد من البشر من يعارض الأحكام الإلهية والأخبار الربانية بعقله الفاسد، ويعرضها على عقله الضعيف المُختل، فيقبل منها ما شاء، ويرفض منها ما شاء، بدعوى أنَّ العقل يأباها، ولا يُسلّم لها، وأنَّ هذا خلاف العقل والحكمة، فالكل تبع للشرع، ولو كان الدين بالعقل لكان باطن الخفّ أولى بالمسح من ظاهره.

4- ومن الناس من قاس الرسل (عليهم السلام) على أنفسهم، فأنكروا أن يكون البشر رسولاً، مبعوثا من الله تعالى إليهم، كما حكى الله تعالى عنهم فقال: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ)[2] وقال تعالى: (قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)[3] وقال تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ)[4] فهؤلاء المنكرون للنبوّات والرسالات، لم يكن إنكارهم لها إلا لأجل القياس الفاسد، إذ قاسوا الرسل الكرام على أنفسهم بجامع البشرية في كل، فقالوا: أنتم بشر مثلنا وقد منعت البشرية من رسالتنا، فلتمنع من رسالتكم، وأيضاً من قياسهم الفاسد في إنكارهم النبوّة أنهم قالوا: ليس الخلق أهلا أن يُرسل الله اليهم رسولا، كما أن أطراف الناس ليسوا أهلا أن يرسل السلطان إليهم رسولا[5].

---

[1] ابن عاشور. ديوان بشار بن برد، ص79.

[2] (سورة: الانعام) {آية:91}

[3] (سورة: يس) {آية:15}

[4] (سورة: الانعام) {آية:8}

[5] ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج6، ص131.

المطلب الثاني: العِبَر والدلالات من تكبّر إبليس ورفضه السجود لآدم (عليه السلام)

قضية رفض إبليس وامتناعه عن السجود لآدم، يمكن للباحثة أن تستخرج منها العبر والدلالات التالية:

1) أنّ الله (سبحانه وتعالى) أراد أن يُعرّف عباده على الأرض، قبل أن يوجدوا من صُلب أبيهم آدم وأمهم حوّاء بعدّوهم الرئيس، وهو إبليس، ليأخذوا حذرهم منه لئلا يوردهم موارد الشقاء.
2) العنصرية البغيضة: حيث تتعدّد أشكالها وألوانها اليوم في شتى أنحاء الدنيا، وكلها ترجع في الأصل إلى امتناع إبليس عن السجود لآدم، وتعليله هذا الرفض بأساس عنصري (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)[1]، فالاستكبار والعجُب بالنفس بسبب النظرة العنصرية الخاطئة يورد صاحبه المهالك، تماما كما كانت نتيجة امتناع إبليس عن السجود لآدم بطرده من الجنة ولعنه، إضافة لما ينتظره من العذاب يوم القيامة.
3) أنه لا بد لكل عاص من التوبة بعد معصيته، وألّا يقنط من رحمة الله تعالى، فإبليس بعد رفضه السجود لآدم كان يستطيع أن يعود لربه مُستغفراً مُتذللاً، ولكنه قنط من رحمة الله واستكبر. قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[2]، وقال: (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)[3]، ودليل قنوط إبليس أنه كان في استطاعته التوبة عندما سأله الله تعالى عن سبب عدم سجوده وبعدها، إلّا أنّه آثر أن يُفكّر في ايقاع آدم في المعصية، كما وقع هو بدل التوبة (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ، قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ)[4]. فنلاحظ أنه بعد أن قال الله تعالى: (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) كان له مهلة أن يستغفر عن تكبرّه ويتعهد ألا يستمر في التكبّر، إلا أنه قنط، وبدل أن يتوب قال: (أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)، ثم تابع في إجرامه واتّهم رب العزّة أنه أغواه! (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

---

[1] (سورة: الأعراف) {آية:12}
[2] (سورة: غافر) {آية:60}
[3] (سورة: الحجر) {آية:56}
[4] (سورة: الأعراف) {آية:12-18}

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) –وهي كلمة حقّ أُريد بها باطل– وهنا يأتي الدليل أن الله كان سيقبل توبته لو كان تاب وندم، حيث إن الله قد أعاد أمر الطرد مرةً أخرى لكن بصيغة حاسمة غير مشروطة: (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ).

4) عدم الحسد لأنه خُلُق مذموم، وهذا الخُلُق دفع إبليس أن يقنط من رحمة الله تعالى، وألا يدخل النار وحده، وليُردي بني آدم معه في نار جهنم (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[1].

5) أنّ الغرور يُهلك صاحبه: فما أهلك إبليس ودفعه إلى الامتناع عن السجود، الا غروره واعتقاده أنه خير من آدم.

6) ألّا يَغتر العبد بعبادة الرخاء، فلربما يسقط في أول ابتلاء حقيقي ولا يقوى عليه، فطالما ظنّ البعض أنفسهم مؤمنين لمجرّد أنهم يعبدون الله تعالى، ولكن ليس العبرة بالعبادة، إنما العبرة بالثبات عليها حال الفتن، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ)[2]، فربّ طاعة تورث استكباراً، وربّ معصية تورث ذلّاً وانكساراً.

---

[1] (سورة: ص) {آية:82}

[2] (سورة: العنكبوت) {آية:10}

المبحث السادس: سكن آدم وحوّاء الجنَّة

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: ما وردَ في القرآن الكريم حول سكن آدم وحوّاء الجنَّة

حين خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح وأسجد الملائكة له تكريما وتشريفا، منّ عليه بأن أسكنه هو وزوجه الجنة أيضا، وقد وردت عدة آيات قرآنية في سكن آدم وحواء الجنة، هي:

قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[1] وقال: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[2] وقال: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَى، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)[3].

الجنة التي سكنها آدم وزوجه:

اختلفت أقوال أهل العلم في الجنّة التي سكنها آدم وزوجه حوّاء (عليهما السلام)، قبل الهبوط إلى الأرض على عدة أقوال هي:

القول الأول: التوقّف عن تعيين تلك الجنَّة التي سكنها الأبوان قبل أن يهبطا إلى الأرض، وعدم الخوض في بحثها والكفّ عنه، وأنه هو الأسلم. فقد ذهب جماعة من أهل العلم، إلى أنه يمكن أن تكون الجنة التي سكنها الأبوان هي جنّة الخلد، ويمكن أن تكون غيرها في السماء، أو في بقعة من بقاع الأرض، فالأحوط والأسلم الكفّ عن تعيينها وعن القطع بها، وهذا القول ذكره كثير من المفسرين[4] عزاه غير واحد من المفسرين إلى الإمام أبي حنيفة[5]، واليه ذهب أبو منصور الماتريدي[6].

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:35}

[2] (سورة: الأعراف) {آية:19}

[3] (سورة: طه) {آية:116-119}

[4] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص339.

[5] مخلوف، حسنين محمد. صفوة البيان لمعاني القرآن، دار البحوث العلمية، مصر، ط1، سنة 1401هـ - 1981م، ص13.

[6] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ - 2005م، ج1، ص106، والماتريدي هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي الحنفي، اليه تُنسب الطائفة الماتريدية الكلامية، توفي سنة 333هـ. أنظر: الزركلي. الأعلام، ج7، ص19.

القول الثاني: الجنَّة التي سكنها آدم مع زوجه حوّاء (عليها السلام)، هي غير جنّة الخُلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة.

وهذا القول يتضمن قولين:

أ) أنّ هذه الجنّة كانت في السماء، وهي غير جنّة الخلد، وهذا القول عزاه الفخر الرازي إلى أبي يعلى الجبائي[1]. وعزاه بعض المفسرين إلى الحسن البصري[2]، ولكن تعقّب هذا القول بأنه هل توجد بساتين في السماء غير بساتين الجنة المعروفة؟ فوجود هذه البساتين في السماء أولا يحتاج إلى الإثبات بالأدلة اليقينية، ولا يُعلم أن في السماء بساتين غير بساتين الجنة المعروفة، وأمّا احتمال أنها خُلقت إذ ذاك ثم اضمحلت، فمما لا يُقدم عليه منصف الا بدليل صحيح يعتمد عليه، ولا دليل على ذلك[3].

ب) أنّ هذه الجنَّة كانت في الأرض، وذكر ابن كثير أنّ هذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن مُنبه[4] وسفيان بن عيينة[5]، وحكاه عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه[6]، وذكر الرازي في تفسيره[7] أنّ هذا القول ذهب إليه أبو القاسم البلخي[8] وأبو مسلم الأصفهاني. وحكى الراغب الأصفهاني هذا القول عن بعض المتكلمين[9]، وبه قالت جماعة من المتأخرين والمعاصرين، منهم عبد الكريم الخطيب، ومحمد رشيد رضا، وعفيف عبد الفتاح طباره شاهين،

---

[1] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص403، والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب، من أئمة المعتزلة بالبصرة، توفي سنة 303هـ. انظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء ج14 ص183.

[2] ابن كثير. البداية والنهاية، ج1، ص75.

[3] الألوسي. روح المعاني، ج1، ص233.

[4] وَهْب بن مُنَبِّه (34–114)هـ: هو وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، أُتّهم بالقدر، ورجع عنه، ويقال: ألف فيه " كتابا " ثم ندم عليه، وحبس في كبره وامتحن. أنظر: الزركلي. الأعلام، ج8 ص125.

[5] سُفْيَان بن عُيَيْنَة (107–198)هـ: هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكيّ. من الموالي، ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها، كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعيّ: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، وكان أعور، وحج سبعين سنة، له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير). أنظر: الزركلي. الأعلام ج3 ص105.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص75.

[7] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص3.

[8] أبو قاسم البلخي: هو نصر بن الصباح البلخي، أبو القاسم، من أعلام الشيعة، من أهل القرن الرابع الهجري، انظر: كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د.ط، ج13، ص89.

[9] ابن قيم. حادي الأرواح، ص19.

وعبد الجليل عيسى، وغيرهم[1]، فالظاهر أنّ هذا القول ذهب إليه كثير من المعتزلة، وهو أيضا محكي عن بعض السلف.

وإذا كانت الجنّة التي سكنها الأبوان في بُقعة من بقاع الأرض، فهل هي موجودة إلى الآن؟ وأين مكانها في الأرض؟ في ذلك عِدّة أقوال، لم يصل شيء منها إلى درجة تقرب من الصحة أو الاعتماد على أي دليل.

وقد استدل القائلون بأنّ الجنة التي سكنها آدم وزوجه هي غير جنة الخلد بمجموعة أدلة:

دليلهم الأول: قالوا: من المعلوم أنّ الله (سبحانه وتعالى) خلق آدم في هذه الأرض من تربتها، وجعله خليفة فيها، ولم يُذكر عنه تعالى ولا عن رسوله أنّ آدم نُقل من الأرض إلى السماء، لا قبل الخلق ولا بعده، ولو كان تعالى قد نقله إلى السماء، لكان ذلك أولى بالذكر، لأنّ نقله من الأرض إلى السماء من أعظم النعم عليه، فدلّ ذلك على أنّه لم يحصل، فعُلم من ذلك أنّه خُلق في الأرض، وأنّ الجنّة التي أُسكن فيها كانت في الأرض ولم تكن في السماء[2]، ولكنّ الأساس الذي بنوا عليه هذا الاستدلال غير ثابت، إذ مداره على صحة القول بأنّ آدم خُلق في الأرض، وقد ادّعوا على ذلك الإجماع، وحكوا عدم الخلاف فيه، وهو لا يُسلم لهم، فإنّ المكان الذي خلق فيه آدم مُختلف فيه عند أهل العلم، وفيه عِدّة أقوال، وقد ذهبت جماعة كبيرة من السلف والخلف إلى أنّ آدم لم يُخلق في الأرض، وإنما خُلق في السماء أو في الجنة.

وأمّا كونه خُلق من مادة الأرض وترابها، فهذا لا يدّل على أنّه خُلق في الأرض، وأنّه أُسكن في جنة كانت في الأرض، وكذلك كونه جُعل خليفة في الأرض أيضاً، لا يدّل على أنّه خُلق في الأرض، وأنّه أُسكن في جنة كانت في الأرض، فإنّ قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) إنّما هو بمعنى أنّي سأجعله في الأرض خليفة، لأنّ "جاعل" اسم فاعل، وهو هنا بمعنى الاستقبال، فالآية تدل على أنّ الأرض هي محلّ خلافة، وهذا لا يُنافي أن يكون الله قد خلقه في غير الأرض، وأسكنه في جنة الخلد

---

[1] الدوسري، عبد الرحمن بن محمد. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1404هـ - 1984م، ج1، ص92/ عبد الكريم الخطيب. قصتا آدم ويوسف، دار الفكر العربي، د.ط، ص41/ رضا، محمد رشيد. تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط2، ج1، ص277/ طبارة، عفيف عبد الفتاح. مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1979م، ص39.

[2] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص3/ ابن قيم. حادي الأرواح، ص26.

فوق السماوات أولاً، ثم أنزله إلى الأرض التي جعله فيها خليفة[1]، وأمّا القول بأنّه لم يَرد نص صحيح برفعه إلى السماء، فهذا لا يدّل على أنّه خُلق في الأرض، أو أنّه أُسكن في جنة كانت في بقعة من بقاع الأرض، وكما أنه يجب على من يقول بأنَّ آدم لم يخلق في الأرض أن يُثبت ذلك بالدليل.

دليلهم الثاني: قالوا: إنّه لا يجوز في حكمة الله تعالى، أن يبتدئ إيجاد الخلق في جنة يخلّدهم فيها من غير تكليف، لأنّه تعالى لا يُعطي جزاء العاملين من ليس بعامل، ولأنّه لا يهمل عباده، بل لا بُدّ من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد[2].

ولكنّ هذا الكلام غير صحيح، فضلاً أن يدلّ على صحة ما زعموا، فإنَّ نعم الله على عباده ليست بسبب منهم، بل كلها فضل وتكرّم وعطاء واحسان منه (سبحانه وتعالى)، فله المشيئة المطلقة، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا مُعقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، ولا يخلو فعل من أفعاله، ولا أمر من أوامره، عن حكمة وغاية حميدة، وقد ندرك بعضها، وقد تخفى علينا فلا ندركها، ولعلّ الحكمة في إسكان الأبوين في الجنّة قبل أن يعملا شيئاً هو الابتلاء والاختبار والامتحان، لتكون هذه الصورة أمام أعين ذريتهم دائماً في الدنيا، ليكونوا دائما حريصين على فعل ما يُقربهم من رضوان الله برحمته، حتى يفوزوا بالعودة إلى جنّته، والدخول في دار كرامته، والتنعم بما أعد الله لهم فيها رحمة منه وفضلا، وليكونوا دائما على حذر من الشيطان الذي أخرج أبويهم من الجنّة، فإن أجابوا نداءه وقبلوا دعوته واتبعوا سبيله يكون مصيرهم مصيره، وهو النار جزاء منه (سبحانه وتعالى) وعدلا، وفي ذلك أعظم ترغيبٍ وترهيبٍ، وأكبر وعدٍ ووعيدٍ، لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد[3].

دليلهم الثالث: قد أخبر الله (سبحانه وتعالى) على لسان جميع رسله، أنّ جنة الخلد إنما يكون الدخول فيها يوم القيامة، ولم يأتِ زمن دخولها بعد، وأنّ من دخلها يكون من الخالدين فيها، ولا يخرج منها، فلو كانت الجنة التي دخلها آدم جنة الخلد لأقام فيها ولم يخرج منها[4].

ولكن تُعقّب هذا الاستدلال بأنّ القول: بأنّ جنّة الخلد إنما يقع الدخول فيها يوم القيامة ولم يأتِ زمن دخولها بعد، فهذا حقّ في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار وخلود ودوام، وأما الدخول العارض فلا مانع من وقوعه قبل يوم القيامة بإذن الله ومشيئته، وقد أجمع أهل التأويل أنّ الملائكة يدخلون

---

[1] ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج1، ص14.

[2] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص3.

[3] ابن قيّم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص9.

[4] ابن قيّم الجوزية. حادي الأرواح، ص25.

الجنّة ويخرجون منها، وثبت أنّ إبليس كان يدخل الجنة قبل معصيته ثم أُخرج منها[1]، وأنّ النبي (ﷺ) دخلها ليلة المعراج، ثم خرج منها وأخبر بما رأى فيها، وأرواح الشهداء في البرزخ في الجنّة، وهذا كله دخول عارض من غير خلود فيها قبل يوم القيامة، فكذلك ليس هناك ما يمنع من دخول آدم وزوجه (عليهما السلام) فيها دخولاً غير خالد فيها قبل يوم القيامة[2].

دليلهم الرابع: قالوا: إنَّ جنّة الخلد هي دار القُدُس، قُدّست عن الخطايا والمعاصي كلّها، وإنّها مقعد صدق، فليس فيها كذب ولا لغو ولا تأثيم، وأهلها مُنعمون فيها، فلا يمسّهم فيها نصبٌ، ولا يصيبهم فيها خوفٌ ولا حزنٌ، لأنّها ليست دار حزنٍ وخوفٍ ونصبٍ، وليست دار تكليفٍ وتحذيرٍ بل هي دار أمنٍ وراحةٍ وسلامٍ، ودار جزاءٍ وإنعامٍ وإكرامٍ، ويكون من دخلها مُنعماً فيها دائماً، ولا يخرج منها أبدا، وهذه الصفات لا تصدق على الجنّة التي سكنها آدم وزوجه حوّاء (عليهما السلام)، فقد لغا فيها إبليس حين كذب على آدم، ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة والابتلاء، فأكلا من الشجرة المُحرمة، فأصابهما فيها حُزنٌ وخوفٌ ونصبٌ، ثمّ أُخرجا منها، وهذا كله يدّل على أنّ آدم لم يكن في جنّة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة[3].

ولكن تُعقّب هذا الاستدلال من وجهين: أحدهما إجمالي، والآخر تفصيلي:

أمّا التعقّب الإجمالي، فذلك أنّه لا شكّ أنّ الله تعالى خلق الجنّة لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذب، ولا يخرج منها من دخلها، ولكن إنما يكون ذلك كله يوم القيامة، إذا دخلها أهلها جزاء عملهم بعد ما قضوا عمرهم في الدنيا في طاعة الله، فلا مانع أن يحصل فيها ما حكاه الله تعالى عن آدم وإبليس ابتلاء واختبارا، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين فيها إلى ما أخبر الله عز وجل، فلا تنافي بين الأمرين[4].

أمّا التعقّب التفصيلي، فذلك بأنَّ قولهم بأنّ الجنّة دار جزاءٍ وثوابٍ، وليست دار تكليفٍ وتحذيرٍ، وقد كلّف الله فيها آدم بالنهي عن الشجرة، فيمكن أن يقال في جوابه: إنَّ ذلك إنما يمتنع أن تكون دار

---

[1] الحديث: (لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك) رواه مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب: خلق الانسان خلقا لا يتمالك، ج4، ص2016، حديث رقم: 2611.

[2] ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ – 2000م، ج10 ص319.

[3] ابن بطال. شرح صحيح البخاري، ج10، ص319/ ابن قيم الجوزية. حادي الأرواح، ص25.

[4] ابن بَطّال. شرح صحيح البخاري، ج10، ص320/ ابن قيم الجوزية. حادي الأرواح، ص32.

تكليفٍ إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، فحينئذٍ ينقطع التكليف، وأمّا امتناعُ وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل عليه البتّة، كيف وقد جاء عن النبي (ﷺ) أنه قال: "بينما أنا نائم رأيتني في الجنَّة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب....)[1] فيدّل هذا الحديث على أنّه يمتنع أن يكون في الجنّة من يعمل بأمر الله، ويعبد الله تعالى قبل يوم القيامة بل هذا في الواقع، فإنَّ من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم، وسواء سُمّي ذلك تكليفاً أم لا، ثم إنّ التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يُكلّف بها الناس في الدنيا، من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ونحوها، وإنّما كان حجراً عليه في شجرة من جملة أشجارها، وهذا لا يمتنع وقوعه في جَنّة الخلد[2]، وأمّا القول بأنَّ الجنّة دار القدس، وقد طهّرها الله من الخطايا، فيمكن أن يقال في جوابه: إنه لا شكَّ أنّ الله تعالى أمر بني اسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة، وهي بالشام، وقد أجمع أهل الشرائع السماوية على أنَّ الله تعالى قد قدّسها، وقد شاهدوا فيها المعاصي والكفر والكذب، ولم يكن تقديسها ممّا يحدث فيها من المعاصي، ولا يُقال: إنها غير مقدسة لما وقعت فيها من المعاصي، ولا يُسلب لأجلها هذا الاسم المقدس المبارك منها، فكذلك ما حصل في الجنة من كذب إبليس اللعين[3].

وأمّا القول بأنَّ من دخلها لا يخرج منها، فقد سبق الجواب عن ذلك، بأنَّ النبي دخلها ثم خرج منها، وأنّ الملائكة يدخلون فيها ويخرجون منها، وأنّ إبليس كان يدخل فيها ثم أُخرج منها، فكذلك دخلها آدم وخرج منها، وأمّا الذي لا يخرج منها فهو من تفضّل الله عليه بالدخول يوم القيامة.

دليلهم الخامس: ما جاء في حديث أبي بن كعب أنّه قال: (إنَّ آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أي بنيَّ إني أشتهي من ثمار الجنّة، فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم: يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون وأين تذهبون؟ قالوا: أبونا مريض، فاشتهى من ثمار الجنّة، فقالوا لهم: ارجعوا فقد قُضي قضاء أبيكم)[4].

قالوا: فلولا أنَّه كان الوصول إلى الجنَّة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكناً لما ذهبوا يطلبون ذلك، فدلَّ على أنها في الأرض لا في السماء[5].

---

[1] رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجمعة باب: من انتظر حتى تدفن، ج7 ص36 حديث رقم: 5227.

[2] ابن القيم، حاوي الأرواح، ص33/ ابن قيّم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص19.

[3] ابن بطّال. شرح صحيح البخاري، ج10، ص320.

[4] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى موقوفاً، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري الزهري. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ط.، ج1 ص33.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص76.

وكذلك قول الملائكة لبني آدم: "ارجعوا فقد مضى قضاء أبيكم" يدّل على أنَّ الجنّة التي كان فيها آدم هي جنة الخلد، إذ فيها دلالة على أنّ آدم قد حان وقت موته، فهو الآن سينقل من دار الدنيا إلى الدار الآخرة، فيُكرّم فيها بما يشتهي من ثمار الجنّة، ولا شكّ أنّ تلك الجنّة ليست في الأرض.

دليلهم السادس: قالوا: لا شكّ أنّ إبليس لما امتنع من السجود لآدم طُرد من الحضرة الإلهية، وأُمر بالخروج عنها والهبوط منها، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته، وإنّما هو أمر قدريّ لا يخالف ولا يمانع، وسياق الآيات القرآنية يدّل على أنّ إبليس خاطب آدم وحوّاء (عليهما السلام) في الجنة شِفاهاً، فلو كانت الجنة التي أُسكنا فيها هي جنة الخلد التي فوق السماوات، ما كان لإبليس أن يصل اليهما بعد هذا الطرد والرجم والابعاد[1]، وهذا الاستدلال لا شكّ أنّه قوي، ولكن يمكن أن يُقال في جوابه ما ذهب اليه جماعة من المفسرين[2]، من أنّ هبوط إبليس من السماء لم يكن فور امتناعه من السجود، بل أُخرج إبليس من الجنة بعد الاستكبار، وأُسكن فيها الأبوان فأكلا من الشجرة، ثم أُهبطوا جميعا، وقد استأنس هؤلاء لما ذهبوا اليه بقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ... وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[3].

قال أبو جعفر الطبري: (وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال: إنّ إبليس أُخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم، وأسكنها آدم قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض، ألا تسمعون الله يقول: (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنّة.... فأخرجهما ممّا كانا فيه)، فقد تبين أنّ إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لُعن وأظهر التكبّر، لأنّ سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نفخ فيه الرّوح، وحينئذٍ كان امتناع إبليس من السجود له، وعند الامتناع عن ذلك حلت عليه اللعنة[4]، فإن صحّ هذا التفسير يكون إبليس قد أغوى الأبوين في الجنة قبل أن يهبط من السماء إلى الأرض، ثم أُهبط الأبوان وإبليس كلهم إلى الأرض، وهذا توجيه قريب من النظم القرآني.

وعلى تقدير أنّ إبليس أُهبط من السماء إلى الأرض بعد امتناعه من السجود لآدم، وبقي الأبوان في الجنة، فلا يمتنع أن يصعد إبليس إلى هناك صعوداً عارضاً، لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدّره الله وقدّر أسبابه، وإن لم يكن ذلك المكان مقعدا له ومستقراً كما كان من قبل، وقد أخبر الله في كتابه

---

[1] ابن كثير. البداية والنهاية، ج1، ص76/ ابن قيم. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص26.

[2] وهم ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي كما ذكر ذلك الطبري في تفسيره، انظر: الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص229.

[3] (سورة: البقرة) {آية:34-36}

[4] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص299.

وعلى لسان رسوله عن الشياطين، أنهم كانوا قبل بعث الرسول يقعدون من السماء مقاعد للسمع، فيستمعون الشيء من الوحي قال تعالى: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا)[1]

دليلهم السابع: قالوا: قد أخبر الله عن إبليس أنه قال لآدم: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى)[2] فإن كان الله (سبحانه وتعالى) قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلي، فكيف غرّه إبليس بالطمع في الخلود؟ ولماذا لم يرّد عليه آدم وقال له: كيف تدلني على شيء أنا فيه، وقد أعطيته؟ فلو كانت الجنة التي سكنها آدم هي جنّة الخلد، لما ركن إلى قول إبليس، ولا مال إلى نصيحته، ولكنه لمّا كان في غير دار الخلود غرّه إبليس بما وعده فيه من الخلود.

ولكن تُعقّب هذا الاستدلال بأنّ أكل آدم من الشجرة المحرمة رجاء الخلد في الجنّة، لا يصحّ به الاستدلال على أنهما كانا في بستان من بساتين الدنيا، لأنّ الله (سبحانه وتعالى) لما أسكنهما في الجنة لم يخبرهما بأنهما سيكونان فيها من الخالدين، بل كان في علم الله أنهما سيخرجان منها، وأنهما حين أكلا من الشجرة المحرّمة رجاء الخلد، كان ظنا منهما وغرورا بمقالة إبليس، ولذلك لم يحصل لهما ما أرادا، فلم يكن أكلهما من الشجرة صوابا.

كما لم يكن ظنهما في الأكل منها بأنّه يُسبب لهما الخلود في جنّة الخلد صوابا، وإنما كان ذلك ظناً منهما، وما كان هذه صفته لا يصحّ الاحتجاج به، ولو كان الأبوان في غير جنّة الخلد وقال لهما إبليس: هل أدلّك على شجرة الخلد؟ لقالا له: لا يمكن أن تكون شجرة الخلد في دار الفناء والزوال، فكيف تكذب علينا يا لعين؟ ولكنه لما كانا في جنّة الخلد، غرّهما إبليس بكلامه الكاذب المعسول المسموم[3].

القول الثالث: أنّ هذه الجنّة التي سكنها آدم وزوجه حوّاء (عليها السلام) هي جنّة الخلد التي سيدخلها المؤمنون يوم القيامة، وهذا القول ذهب إليه جماعة من المتأخرين والمعاصرين، وهو القول المشهور، وعليه عامة أهل السُنة والجماعة[4]، واستدلّ أصحاب هذا القول بما يلي:

---

[1] (سورة: الجن) {آية:9}

[2] (سورة: طه) {آية:120}

[3] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص302/ ابن قيم. حادي الأرواح، ص26.

[4] ابن بطال. شرح صحيح البخاري، ج10، ص321/ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص430.

الدليل الأوّل: قوله تعالى: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)[1] قالوا: الجنّة جاءت مُعرّفة بلام التعريف، ولا جنّة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب، فقد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة كالمدينة والبيت والكتاب ونظائرها، فحيث ورد لفظها مُعرّفاً انصرف إلى الجنّة المعهودة في قلوب المؤمنين.

الدليل الثاني: قوله تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[2] فهذا يدلّ على أنّ هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض، لأنّ لفظ (اهبطوا) يدّل على النزول من علو إلى أسفل، ولا يصح أن يُقال: إن هذا هبوط من مكان في الأرض إلى مكان آخر منها، كما في قوله تعالى لبني إسرائيل: (اهْبِطُوا مِصْرًا)[3] لأن قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) عقب قوله: (اهبطوا) يدّل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض، وإنّما نزلوا إليها من غيرها، وقد أكدَّ ذلك بقوله تعالى: (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)[4] فهذا يؤكد على أنهم لم يكونوا قبل الهبوط بمكان فيه يحيون ويموتون وفيه يخرجون، وإنّما صاروا إليه لما هبطوا من الجنّة، فلو كانت الجنّة التي سكنها آدم وزوجه (عليهما السلام) في الأرض، وانتقلوا منها إلى أرض أُخرى كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض، لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده، وكذلك لكانت حياتهم ومماتهم وإخراجهم من الأرض في الأرض قبل الهبوط وبعده[5].

الدليل الثالث: قوله تعالى: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)[6] فهذه الجنّة وصفها الله بأنه ليس فيها جوعٌ، ولا عطشٌ، ولا عريٌ، ولا حرٌّ، ولا نصبٌ، هذه الصفات لا تصدق إلا على جنة الخلد، فإنَّ الإنسان مهما كان مُنعماً في الدنيا، لا بدّ أن يُصيبه التعب من الجوع والعطش والعُري والحرارة وغيرها من المشاقّ.

الدليل الرابع: عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان (رضي الله عنهما) قالا: قال رسول الله: "يجمع الله (تبارك وتعالى) الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنّة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا

---

[1] (سورة: الأعراف) {آية:19}

[2] (سورة: البقرة) {آية:36}

[3] (سورة: البقرة) {آية:61}

[4] (سورة: الأعراف) {آية:25}

[5] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج1، ص347.

[6] (سورة: طه) {آية:117-119}

الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنّة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك"[1]، فهذا الحديث يدّل على أنّ الجنة التي أُخرج منها آدم هي بعينها التي يطلب منه المؤمنون أن يستفتحها لهم من ربهم (تبارك وتعالى)، ولا شكّ أنها جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، ولو كانت الجنة التي سكنها آدم في الأرض لكان هذا الجواب من آدم في غير محلّه، إذ خطيئته لم تخرجهم من جنة الدنيا، فتعيّن أنه كان في جنة الخلد[2].

القول الرابع: الجنّة التي كان فيها آدم وحوّاء (عليهما السلام) لم تكن جنّة حقيقية، وإنما كانت جنّة معنوية، وهي جنّة العلم، قالت به الباطنية.

ومن هذا الجنس ما قاله مصطفى محمود: بأنها (جنّة الطاعة والإسلام للناموس الإلهي).

وهذا القول في غاية البطلان والفساد، فإنه تحريف لكتاب الله تعالى، وصرف لألفاظه عن ظواهرها إلى غيرها من غير دليل ولا حاجة، بل فيه حمل لألفاظ القرآن إلى ما هو مخالف لصريح دلالة القرآن مخالفة واضحة، لأنّ الله (سبحانه وتعالى) وصف لنا جنّة آدم في كتابه فقال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) وقال: (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ) وقال: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا) وقال: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى، إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى، فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى، فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ)

وبعد أن قامت الباحثة بإيراد جميع الأقوال، في مسألة كون الجنة التي أخرج منها آدم وزوجه هي جنة الخلد أم لا، وبعد أن قامت بمناقشتها وذكر الردود عليها، فإنها ترجّح القول الثالث، وترى بأن الجنة التي أُخرج منها آدم وزوجه هي نفسها جنة الخلد التي وُعد بها المؤمنون يوم القيامة، مع التنويه أن هذه المسألة ليست من المسائل التي يتوقف عليها أمر شرعي، فالخلاف فيها يسير، ولا ينبني عليه أي أصل من أصول الدين.

---

[1] رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها ج1، ص186، حديث رقم: 329

[2] ابن قيم. حادي الأرواح، ص21/ ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص14/ ابن كثير. البداية والنهاية، ج1، ص75.

المطلب الثاني: العبر والدلالات من سكن آدم وحوّاء الجنّة

بعد استقراء الباحثة لجميع الآيات القرآنية التي ذكرت سكن آدم وحواء الجنة، يمكن بيان العبر والدلالات من ذلك في النقاط التالية:

1) إنّ إدخال آدم الجنّة كان مؤقتاً إلى مُدّة، ولم يكن خلوداً، بدليل قوله تعالى: (أسكن)، لأنَّ السكن ليس تمليكاً وإنما مدّة ثم ينقطع، فكان دخول آدم الجنة دخول سكن، وليس دخول إقامة.

2) إنّ الله (سبحانه وتعالى) أكرم آدم وزوجه وأغدق عليهم من كرمه وعطاياه، بدليل أنّه (سبحانه وتعالى) أسكنهما الجنّة، حيث الملائكة والنعيم المقيم، (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا)[1].

3) إنّ الإنسان إذا أطاع الله فاز وسعد وأمن، وإذا عصاه خسر وخاف وانتكس، فآدم (عليه السلام) أدخله الله الجنة، لكنه في لحظة نسيان واحدة منه خسر سكن الجنة التي فيها نعيم لا يعلم بماهيته الا الله تعالى.

4) إنّ الله تعالى هو الموفق للتوبة، فكثيرٌ هم الذين يذنبون، لكن الذي يتوب منهم هو الذي وفقه الله للتوبة (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)[2]، (وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)[3]، فالله هو الذي يقبل توبة التائب، ويشرح صدر العباد للتوبة، بل ويعلّمه كيف يتوب، ثم إذا تاب قبلها منه، ونلاحظ أنّ توبة آدم (عليه السلام) حينما أكل من الشجرة أثناء سكنه الجنة كانت إلى الله مباشرة دون وسيط (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)[4]، بخلاف أهل الكتاب الذين جعلوا لمن أذنب أن يأتي الحبر أو الراهب، فيعطيه شيئاً ليحطّ عنه ذنوبه، فأولئك ضلّوا وما كانوا مُهتدين.

5) توجيه الخطاب إلى آدم (عليه السلام) وزوجه، يُشعر بالرابطة الزوجية الحميمة القوية، حيث إنّ الزوجين قريبان، فالزواج تعايش وتكامل وتعاون، وقضايا الحياة الزوجية الأساسية من سكن وطعام واستقرار وغيرها، تحتاج إلى هداية وتوفيق، وامتثال لأوامر الله ووحيه.

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:35}

[2] (سورة: القصص) {آية:56}

[3] (سورة: المائدة) {آية:41}

[4] (سورة: التوبة) {آية:104}

6) خلق الله حواء زوج آدم لتؤنسه ويسكن إليها، كما قال تعالى: (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) فالزوجة سكن للزوج، ولا يتحقّق هذا السكن إلا في الزواج، بخلاف العلاقات المثلية الشاذة والمحرمّة كالزنا، فيسودها القلق والتوتر والملل.

قال ابن كثير: "ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورا، وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم، إمّا من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة، لو كانت الأزواج من غير الجنس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن موّدة: وهي المحبّة، ورحمة: وهي الرأفة، فإنَّ الرّجل يمسك المرأة إمّا لمحبته لها، أو لرحمته بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)"

7) وقوله تعالى: (اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) فيه الأمر باتخاذ السكن مقراً للحياة الزوجية، ويقضي فيه الزوجان غالب حياتهما وأحوالهما، وهو يشمل السكن الحسي والمعنوي، ولا يكتمل النعيم والاستقرار إلا باجتماعهما، ولا يتحقّق إلا مع نوعي الذكر والأنثى بالزواج، كما إنّ الزوجة مرتبطة بزوجها في سكنها ومحل إقامتها وتابعة له.

8) الخطاب القرآني والأمر الرباني لآدم وزوجه بالسكن في الجنة والأكل من ثمرها والنهي عن شجرة بعينها، يُفيد بأنّ الحياة الحقيقية بدأت في السماء، وارتباط هذه الحياة بالوحي منذ بدء أمرها، وهذه الوصايا من الله تعالى إلى آدم وزوجه، لإصلاح حياتهما وذريتهما وتحذيرهما من غواية الشيطان، وفي الامتثال لأوامر الله وتطبيق شريعته صلاح للعالم وللبشرية جمعاء، ومخالفة الأوامر الإلهية فيما يختص بالحياة الزوجية، خسارة وحسرة وحرمان من السعادة في الدارين، حيث جعل الله سعادة البشرية باتّباع هُدى الله وشقاءها بتركه.

9) قوله تعالى: (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) إباحة للتمتع بتلك الجنة والتنعم بما فيها من أي مكان منها، إلا شيئاً واحدا نهاهما عنه، وفيه الإشارة إلى أنّ الطمأنينة والسعادة ترفرف على الزوجين الملتزمين بأوامر الله، وقد استقر أمر البشر على أنّ سعادتهم في اتباع الهداية الإلهية، وشقاءهم في الانحراف عن سبلها.

المبحث السابع:

نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: ما ورد في القرآن الكريم حول نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما

إنّ الله (سبحانه وتعالى) لما أَسكن آدم وزوجه (عليهما السلام) الجنَّة، أباح لهما أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا، إلا شجرة بعينها[1] حرمها عليهما ونهاهما عن الاقتراب منها، الا أنّ الشيطان أغواهما فأكلا منها، والآيات التي تحدثت عن ذلك هي:

1) (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ)[2].
2) (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[3].
3) (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[4].
4) (وَيا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ، وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ

---

[1] اختلف المفسرون في بيان المراد بالشجرة التي نُهي عنها آدم وزوجه حَوّاء على أقوال كثيرة، وقد اطلعت الباحثة على كثير من هذه الأقوال، التي ترى انه لا فائدة من ذكرها، ولو كان في معرفتها خير لبينه الله تعالى/ الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص512.

[2] (سورة: الأعراف) {آية:21-20}

[3] (سورة: طه) {آية:121-120}

[4] (سورة: البقرة) {آية:36-34}

النَّاصِحِينَ، فَدَلاَّهُما بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَناداهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ)[1].

اغواء الشيطان لهما:

لا شك أنّ إبليس هو الذي تولى إغواء الأبوين، وسبّب لهما الخروج من جنة النعيم إلى أرض الشقاء، من غير خلاف بين العلماء في ذلك[2]، ولكن اختلفت أقوالهم وآراؤهم في بيان كيفية إغواء إبليس لآدم وزوجه (عليهما السلام)، وهل كان ذلك مشافهة، أو وسوسة، أو عن طريق بعض أتباعه، أو أنّ ذلك كان بكيفية مخفية عن العباد، وأنها مما استأثر الله بعلمه، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، وبيان الرّاجح منها:

القول الأوّل: أنّ الله عز وجل قد مكّن إبليس من دعوة آدم وزوجه لمعصيته، حتى أكلا من الشجرة المُحرّمة، أمّا كيف وسوس إبليس لهما في الجنّة، فهذه قضية من القضايا الغيبية، ولم يرد في النصوص الإسلامية الصحيحة بيانها، هذا القول نسبه الألوسي إلى ابي منصور الماتريدي، واستحسنه[3].

القول الثاني: أنّ إبليس لم يذهب إلى آدم وحوّاء (عليهما السلام) لإغوائهما، وإنّما وسوس لهما من غير مشاهدة ولا مخاطبة منه، لأنهما كانا يعرفانه ويعرفان ما عنده من الحسد والعداوة والبغضاء لهما، فيستحيل في العادة أن يقبلا قوله، وأن يلتفتا إليه إذا خاطبهما بنفسه[4]، وإنما اغواهما بأحد وجهين:

أ- أنه أرسل بعض أتباعه، فحثهما على الأكل من الشجرة المُحرّمة، وزيّنها لهما حتى غرّهما فأكلا منها، هذا الوجه ذكره غير واحد من المفسرين[5].

ب-أنه أغواهما من خارج الجنّة، ولم يدخل عليهما في جنتهما هو ولا أحد من أتباعه، بل هو الذي وسوس لهما، ورغبهما في الأكل من الشجرة المنهية، ولكن من غير مشاهدة ولا مخاطبة، وذلك بما مكّنه الله تعالى من القدرة على إيصال وسوسته إلى من يريد إغواءه، وإن كان بعيدا عنه بعد السماء من الأرض، فهو أغوى الأبوين بوسوسته، كما يغوي ذريتهما من

---

[1] (سورة: الأعراف) {آية:19}

[2] ابن عطية. المُحرّر الوجيز، ج1، ص187/ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص312.

[3] الألوسي. روح المعاني، ج8، ص579.

[4] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص15.

[5] أنظر: الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص15/ الألوسي. روح المعاني، ج1، ص235.

غير أن يروه ويشاهدوه، هذا الوجه محكي عن ابن اسحاق[1] وهو الذي اختاره الألوسي[2]، إلّا أن القول بأنَّ إبليس أغوى الأبوين عن طريق الوسوسة من غير مشافهة ولا مخاطبة فيه نظر، فإنّ الوسوسة هي الكلام الخفي، أما ما وسوس به إبليس للأبوين فكان كلاماً واضحاً مسموعا ومفهوماً، ولم يكن مجرد همسٍ، بدليل قوله تعالى: (وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)[3].

القول الثالث: أنّ إبليس خاطب الأبوين مُشافهة، وحثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها بنفسه، وغرّهما بكلامه المعسول المسموم حتى أكلا منها، هذا القول ذهب إليه جمهور المفسرين[4]، وقد استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بقوله تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ... وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ... فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ)[5] وقوله تعالى: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)[6]، فالوسوسة التي نال بها إبليس من الأبوين وغرّهما بها هي قوله لهما: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، وأنّه ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وهذا يدّل على أنّ وسوسة إبليس للأبوين كان عن طريق كلام خفي مسموع ومفهوم، لأنَّ الله (سبحانه وتعالى) فسّرها بالقول، وذلك لا يكون إلا عن طريق المخاطبة والمشافهة، وكذلك في مقاسمته لهما دليل آخر على مخاطبته إياهما ومثوله بنفسه أمامهما، فإنه لا يتصوّر في أداء القسم النيابة عن الغير[7].

قال ابن جرير الطبري: (وقد أخبر الله (تعالى ذكره) عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجه ليُبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما، وأنه قال لهما: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)، وأنّه قاسمهما إني لكما لمن الناصحين، ففي إخباره (جلّ ثناؤه) عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجه بقيله لهما: (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما

---

[1] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص238.

[2] الألوسي. روح المعاني، ج1، ص235.

[3] (سورة: الأعراف) {آية:20-22}

[4] ابن عطية. المُحرّر الوجيز، ج1، ص187/ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص312/ ابن حيّان. البحر المحيط في التفسير، ج1، ص313/ الشوكاني. فتح القدير، ج1، ص68.

[5] سورة: الأعراف) {آية:20-22}

[6] سورة: طه) {آية:120}

[7] الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص399.

بنفسه، وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلانا في كذا وكذا إذا سبب له سببا وصل به إليه دون أن يحلف له، والحلف لا يكون بتسبب السبب، فكذلك قوله: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) لو كان ذلك، كان منه إلى آدم، على نحو الذي منه إلى ذريته، من تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه إياه، بما استنزله به من القول والحيل، لما قال (جل ثناؤه): (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)[1].

وبعد بيان الأقوال في كيفية اغواء إبليس لآدم وزوجه، فإنّه يتبيّن للباحثة أنّ إبليس خاطب الأبوين مُشافهة، وأنّه حثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها بنفسه حتى أغواهما، فهذا هو الرّاجح فيما يظهر للباحثة لكونه أقرب إلى ظاهر الكتاب، وألصق بآياتها، وأبعد عن التكلّف والتصنّع في تفسيرها.

كيف تمكّن إبليس من دخول الجنة؟

القول بأنَّ إبليس أغوى آدم وزوجه بخطابه إياهما مُشافهة، فيه إشكال يحتاج إلى نظر: فإبليس بعد امتناعه من السجود لآدم كان قد طُرد من الجنّة، فكيف تمكن من الوصول إليهما وهما في الجنّة؟

لأهل العلم في الإجابة عن هذا الإشكال عدة أقوال:

1- هناك روايات بأنّ إبليس حاول دخول الجنة، فمنعته خزنة الجنة من الملائكة، فدخل بمساعدة الحيّة، حيث ابتلعته ودخلت به الجنة ثم قذفته فيها، وهذا وما شابهه من الاسرائيليات المنكرة التي لا دليل عليها من القرآن والسنة، وللعلماء ردود ومناقشات لهذا القول ولأشباهه، وقد رأت الباحثة الإحجام عن نقل ذلك، كونه من الاسرائيليات التي لا يمكن الاعتماد عليها.

2- إنّ إبليس أُخرج من الجنّة بعد الاستكبار عن السجود لآدم، لكنه بقي في السماء، أما آدم فأسكنه الله الجنة، ولما أغوى إبليس آدم وزوجه، أُهبطوا إلى الأرض، وهذا القول حكاه ابن جرير الطبري بإسناده، إلى ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من أصحاب رسول الله، وأيّد قولهم هذا، وبيّن أنّ النظم القرآني يدّل على ذلك[2].

---

[1] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص238.

[2] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص512.

3- إنه وسوس لهما وخاطبهما، وهو على باب الجنّة، فاستجابا له، وهو لم يدخل عليهما في الجنّة بعد ما أخرج منها، هذا الوجه ذكره غير واحد من المفسرين[1]، وارتضاه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[2].

4- إنّ إبليس أُهبط من السماء إلى الأرض بعد امتناعه من السجود لآدم، وبقي الأبوان في الجنَّة ولكنه صعد إليهما صعوداً عارضاً، فكان دخوله عليهما في الجنّة على سبيل المرور كما يدخل اللص، ولم يكن دخوله فيها على سبيل الاستقرار بها، وذلك لتمام الابتلاء والاختبار الذي قدره الله وقدّر أسبابه، وهذا الوجه كذلك ذكره غير واحد من المفسرين[3]، وهذا أيضاً ممّا ارتضاه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[4].

وترى الباحثة أنّ كيفية إغواء إبليس لآدم (عليه السلام) وزوجه، من الغيبيات والمبهمات التي لم يُفصح عنها القرآن الكريم، وأنّ كلّ ما قيل في ذلك لا دليل عليه.

كيفية اصغاء آدم وزوجه لإغواء الشيطان:

القول بأنّ إبليس خاطب الأبوين بنفسه، وأنّه كلمهما مشافهة حتى أغواهما، فيه إشكال يحتاج إلى جواب، وهو أنّ الله (سبحانه وتعالى) لما أمر الأبوين بالسكن في الجنّة، كان قد حذّرهما من عدوهما إبليس تحذيرا شديداً، إذ قال لهما: (إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)[5] فكيف أقبل آدم على الأكل من الشجرة المحرمة؟ وكيف أصغى إلى مقالة إبليس اللعين؟ وكيف قبل منه ذلك مع هذا التحذير الشديد والنهي الأكيد؟ وللإجابة عن هذا السؤال عِدّة أقوال للمفسرين:

القول الأول: أنّ آدم لم يقصد بالأكل معصية ربه، ولكنه أكل من الشجرة المحرمة متأولاً، وفي وجه تأويله أقوال وهي كما يلي:

قالت طائفة: إنّه تأوّل بحمله النهي المطلق على شجرة مُعينة فتركها، وتناول من شجرة أخرى من نوعها[6].

---

[1] الزمخشري. الكشّاف، ج1، ص255/ ابن الجوزي. زاد المسير، ج1، ص67.

[2] الشنقيطي. أضواء البيان، ج4، ص399.

[3] الزمخشري. الكشّاف، ج1، ص255/ النسفي. مدارك التنزيل، ج1، ص81/ أبو حيّان. البحر المحيط في التفسير، ج1، ص313.

[4] الشنقيطي. أضواء البيان، ج4، ص399.

[5] (سورة: طه) {آية:117}

[6] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص13.

ولكن في هذا القول نظر، فإنَّ الله (سبحانه وتعالى) أخبر أنّ إبليس قال له: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)[1] فإبليس ذكر لهما الشجرة التي نُهيا عنها إما بعينها وإما بجنسها، وصَرّح لهما بأنها هي التي نُهيا عنها، ولو كان عند آدم أنّ المنهي عنه تلك الشجرة المعينة دون سائر النوع لم يكن عاصياً بأكله من غيرها، ولا أخرجه الله من الجنّة ونزع عنه لباسه[2].

وقالت طائفة أُخرى: إنّ آدم أقدم على الأكل من الشجرة المحرمة، لأنه تأول النهي بأنه تنزيه، لا نهي تحريم[3].

وهذا أيضاً باطل من وجوه منها:

1) قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[4] فهذا يدّل على أنّ النهي لم يكن للتنزيه، وإنما كان للتحريم، لأنه قرن هذا النهي بالوعيد، ولذلك لما تابا قالا: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا)[5].
2) إنّ هذا النهي لو كان للتنزيه لما استحق آدم بفعله الإخراج من الجنّة، ولما وجبت التوبة عليه، ولا قيل: إنه عصى ربّه[6].
3) إنَّ الله (سبحانه وتعالى) لما نهاهما عن الأكل من الشجرة، بالغ في النهي حتى نهاهما عن قربها، فقال تعالى: (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) فهو (سبحانه وتعالى) علّق النهي بالقرب منها، مبالغة في تحريم الأكل، ووجوب الاجتناب بالكلية، وهذا يدّل على أنَّ النهي لم يكن نهي تنزيه بل كان للتحريم، وهو شبيه بالنهي عن الخمر والأمر باجتنابها بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[7]

وقالت طائفة: إنّ آدم لما قاسمه عدّو الله أنه ناصح، وأخرج الكلام على أنواع متعددة من التأكيد، كما أخبر الله تعالى عنه فقال: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)[8]، فهذا الخبر منه (سبحانه وتعالى)

---

[1] (سورة: الأعراف) {آية:20}

[2] ابن قيّم. الصواعق المُنزلة، ج1، ص212.

[3] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج4-5، ص13/ ابن قيّم. الصواعق المُنزلة، ج1، ص213.

[4] (سورة: البقرة) {آية:35}

[5] (سورة: الأعراف) {آية:23}/ الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص5/ ابن قيّم. الصواعق المُنزلة، ج1، ص213.

[6] أنظر: المصدرين السابقين نفسيهما.

[7] (سورة: المائدة) {آية:90}

[8] (سورة: الأعراف) {آية:21}.

مُتضمن أنواعاً من التأكيد[1]، ولم يكن آدم يظن أنّ أحداً يقسم بالله كاذبا يمينا غموسا، يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة، فنتيجة ذلك ظنّ آدم صدقه، وأنه إن أكل منها لم يخرج من الجنّة، ورأى أنّ الأكل وإن كان فيه مفسدة، فمصلحة الخلود أرجح، ولعلّه يتأتى له استدراك مفسدة النهي أثناء ذلك، إما باعتذار وإمّا بتوبة، وإمّا بغير ذلك، كما تجد هذا التأويل قائما في نفس كل من يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً لا شك فيه إذا أقدم على المعصية[2].

القول الثاني: أنّه أكل منها وهو ناس للنهي، ويدّل على ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[3] وهذا القول ذكره الفخر الرازي[4]، ورجحه وهبة الزحيلي[5].

وإذا كان قد حصل ما حصل من آدم على وجه النسيان، فلماذا عدَّ أكله من الشجرة معصية منه لربه، ولماذا أُخرج من الجنّة، وأُهبط إلى الأرض؟

فذكر بعض أهل العلم توجيه ذلك أن آدم كان من عباد الله المخلصين النبيين المقربين، ويلزمهم من التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لا يلزم غيرهم، ولذلك فلما تشاغل عن تذكر النهي تطبيقاً، صار عاصياً، كما في عبارة: (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[6].

وخلاصة القول فيما يظهر للباحثة: أن إبليس أغوى الأبوين في الجنّة مُشافهة، وأن دخوله فيها كان دخولاً عارضاً من غير استقرار ولا إقامة، ابتلاء من الله (سبحانه وتعالى)، أو أنه وقف خارج الجنّة قريبا من طرفها، بحيث سمع آدم وزوجه كلامه وهما في الجنّة، وأن معصيتهما لله عز وجل كانت بسبب أنهما سمعا كلام إبليس المسموم المعسول، المؤكد بأنواع من التأكيدات، المُتصل بالحلف بالله تعالى، على نصحه لهما فاغترا به، فكانت رغبتهما في الخلود ولذته، فأنستهما النهي والمعصية، ولم يخطر ببالهما ما حذّرهما الله منه وعاقبة أكلهما، فأكلا من الشجرة المنهي عنها، وحصل ما حصل.

---

[1] ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ - 1975م، ج1، ص113/ ابن قيّم. الصواعق المُنزلة، ج1، ص214.

[2] ابن قيّم الجوزية. إغاثة اللهفان، ج1، ص113/ ابن قيم. الصواعق المُنزلة، ج1، ص214.

[3] (سورة: طه) {آية:115}

[4] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج3، ص15.

[5] الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م، ج1، ص142.

[6] النجار. تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن، ص56.

المطلب الثاني: العِبَر والدلالات من نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما

بعد استقراء الباحثة لجميع الآيات القرآنية التي ذكرت نهي آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما، فإنها تشير الى هذه العبر والدلالات:

1- يُلاحظ أنّ نهي الله لآدم وزوجه عن الأكل من الشجرة كان بلفظ: ولا تقربا، ولم يكن بلفظ: فلا تأكلا، حيث قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[1]، وهذا أبلغ في النهي من الأكل، لأنَّ مُجرّد الاقتراب يوقع في الإثم، فكيف بمباشرتها والأكل منها، ولعلّ الله أراد بحكمته أن يبتلي آدم وزوجه، فحذرهما من الاقتراب من الشجرة، وذلك أبلغ حتى لا يُغريهما منظر الشجرة أو شكل الثمار أو لونها أو رائحتها فيأكلوا منها، فأراد الله أن يحمي آدم من نفسه ومن الإغراء الذي يمكن أن يتعرّض له، وقد لا يقوى عليه، وذلك لأنَّ الاقتراب من الشيء يؤدي إلى اقترافه[2]، كما في قوله (ﷺ): (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه)[3]

2- الإحساس بالذنب والشعور بالتقصير والندم عليه، ثم المبادرة إلى التوبة والاستغفار، من أعظم نعم الله تعالى على العبد، والأنبياء (عليهم السلام) عندما صدر عن أحد منهم شيء مما يوهم ويُظنّ أنه معصية، كانوا يبادرون إلى التوبة والاستغفار، والله تعالى لم يذكر في القرآن ذنباً عن نبي إلا ذكر معه توبته منه، قال تعالى عن آدم: (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ... قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[4]، وقال تعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى... ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)[5].

3- الأنبياء (عليهم السلام) إن وقع منهم شيء من معصية الله، فسرعان ما يغسلونها ويتخلصون من ادرانها بالتوبة والاستغفار، ويصبحون على حذر تام في المستقبل من العودة عمّا تابوا

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:35}

[2] عبد الكريم الخطيب. قصتا آدم ويوسف، ص17/ عبد الكريم الخطيب. القصص القرآني، ص294.

[3] رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج3، ص1219، حديث رقم: 107.

[4] (سورة: الأعراف) {آية:22-23}

[5] (سورة: طه) {آية:121-122}

عنه، ويباتون أكثر حرصا واجتهاداً في عبادة الله والمداومة عليها، فيزدادون بتوبتهم واستغفارهم وإنابتهم إلى الله وتضرعهم إليه وخشيتهم منه قربة ومنزلة عند الله، ويجعل لهم بذلك من كمال الافتقار والعبودية إليه وخشيتهم له قربة ومنزلة عنده، ويجعل لهم بذلك من كمال الافتقار والعبودية لله تعالى ما لم يكن ليحصل من غير توبة، كمن ذاق الجوع والعطش والمرض والفقر والخوف، ثم ذاق الشبع والرّي والعافية والغنى والأمن، فإنه يحصل له من المحبة لذلك، وحلاوته، ولذاته، والرّغبة فيه، وشكر نعمة الله، والحذر أن يقع فيما حصل أولاً ما لم يحصل بدون ذلك[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب، رفعا لدرجاتهم بالتوبة، وتبليغاً لهم إلى محبته وفرحه بهم، فإن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائب أشد فرح، فالمقصود كمال الغاية، لا نقص البداية، فإن العبد يكون له الدرجة، لا ينالها إلا بما قدره الله له من العمل أو البلاء)[2] الأنبياء أسوة حسنة لمن أرسلوا إليهم، وفي توبتهم واستغفارهم وإنابتهم إلى الله وتضرعهم إليه وخشيتهم منه وعبوديتهم له، دعوة لأتباعهم إلى عدم القنوط من رحمة الله، ودعوة إلى المبادرة للتوبة والإنابة إليه (سبحانه وتعالى)، وطلب المغفرة منه وإفراد العبودية له كلها.

4- فيه ظهور لمقتضى أسماء الله وصفاته، من عظيم فضله وكرمه وإحسانه وعفوه ورحمته بعباده، وفرحه بتوبة التائب إليه، وقبول توبته، وبيان ذلك من وجوه:

أ- أنّ الله (سبحانه وتعالى) يُحب التوبة والاستغفار ويحب أهلها، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): (والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم)[4].

ب-أنَّ الله رحيم بعباده فهو (سبحانه وتعالى) يغفر لمن تاب إليه رحمة منه وفضلاً، قال تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ

---

[1] ابن تيمية. الفتاوى الكبرى، ج15، 551.

[2] المصدر السابق، ج20، ص89.

[3] (سورة: البقرة) {آية:222}

[4] رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنب بالاستغفار، ج4، ص2106، حديث رقم: 11.

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1] وقال تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2].

ت-أنّ الله (سبحانه وتعالى) يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عنهم، ويفرح بتوبتهم إليه، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)[3]، كما ورد في الحديث عن رسول الله (ﷺ): (لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ، وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشدّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)[4].

ث- أنّ الله (سبحانه وتعالى) يُبدّل سيئات التائبين إليه حسنات، فضلا وكرما منه (سبحانه وتعالى) واحسانا إلى عباده ورحمة بهم، قال الله تعالى: (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)[5].

---

[1] (سورة: الأنعام) {آية:54}

[2] (سورة: النحل) {آية:119}

[3] (سورة: الشورى) {آية:25}

[4] مسلم. صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، ج4 ص2103 رقم الحديث 2744.

[5] (سورة: الفرقان) {آية:70}/ أنظر: الطبزي. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1 ص542.

المبحث الثامن: هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: ما ورد في القرآن الكريم حول هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض

بعد أن تحدثت الباحثة في المبحث السابق عن إغواء الشيطان لآدم وزوجه، وأكلهما من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، ستتحدث في هذا المبحث عن هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض، الذي ترتّب على ذلك.

والآيات القرآنية التي تحدثت عن هبوط آدم وحواء إلى الأرض هي:

(قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[1].

(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[2]

(قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)[3].

(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا)[4].

من هُم الذين تم توجيه الخطاب لهم بالهبوط؟

الآيات السابقة هي التي تحدّثت عن هبوط آدم وزوجه، فالآية الأولى والثانية والثالثة متطابقات لفظاً ومعنىً، وإنما جاء التكرار هنا لتوكيد الأمر، أما الآية الرابعة فهي بلفظ المثنى، وهي للجهتين: آدم وزوجه من جهة، وإبليس وجنوده من جهة أخرى.

واختلف العلماء فيمن يشمله أمر الهبوط على أقوال: فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) إنه انصرف إلى آدم وحوّاء والحيّة، وفي رواية أخرى عن ابن عباس، إلى آدم وحواء وإبليس والحيّة، وقال مجاهد:

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:36}

[2] (سورة: البقرة) {آية:38}

[3] (سورة: الأعراف) {آية:24-25}

[4] (سورة: طه) {آية:123-124}

إلى آدم وإبليس، وقال الفراء[1]: إلى آدم وحواء وذريتهما، وذكر ابن الأنباري[2]: إلى آدم وحواء فحسب[3]، ولكن أغلب المفسرين على أن المقصود بأمر الهبوط آدم وحوّاء وذريتهما من جهة، وإبليس وجنوده من جهة أخرى.

يقول ابن القيّم في تفسيره: "إنَّ العداوة التي ذكرها الله تعالى، إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما كما قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)[4] وهو (سبحانه وتعالى) قد أكدّ أمر العداوة بين الشيطان والإنسان، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرّز من هذا العدو، وأمّا آدم وزوجه فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها له ليسكن إليها، وجعل بينهما مودة ورحمة، فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته، والعداوة بين الشيطان والإنسان"[5].

ثم يقول: "والذي يوضح أنّ الضمير في قوله (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا)[6] لآدم وإبليس، أنّ الله (سبحانه وتعالى) لما ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه، وهذا يدل على أنّ المخاطب بالإهباط هو آدم وإبليس الذي زيّن له المعصية، ودخلت الزوج تبعاً، فإنّ المقصود إخبار الله تعالى الناس جميعا بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر[7].

وقال الشيخ الشعراوي في تفسيره: "إنّ المخاطبين هم آدم وحوّاء وإبليس، والعداوة هنا مُسبقة بين الإنسان والشيطان، ولكن قوله (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)[8] تبيّن أنّ العداوة بين طرفين،

---

[1] الفرّاء (144-207)هـ: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، توفي في طريق مكة، وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال، من كتبه "المعاني". أنظر: الزركلي. الأعلام، ج8 ص145.

[2] ابن الأنباري (271-328)هـ: هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن، وُلد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد، وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم، من كتبه (إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) و(عجائب علوم القرآن). أنظر: الزركلي. الأعلام، ج6 ص334.

[3] ابن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. ج1، ص51.

[4] (سورة: فاطر) {آية:6}

[5] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تفسير القرآن الكريم. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1410هـ ج1 ص136.

[6] (سورة: طه) {آية:123}

[7] ابن قيّم الجوزية. تفسير القرآن الكريم، ص124.

[8] (سورة: طه) {آية:123}

آدم وحواء طرف، وإبليس طرف آخر، فكأنهما فريقان آدم وحوّاء وذريتهما، وإبليس وذريته، بدليل قوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)[1].

أراد الله تعالى أن يؤكد للبشرية تلك العداوة التي بينهم وبين الشيطان، حتى لا ينزلقوا إليه مرةً أخرى، فالعداء والصراع سيبقى أمد الدهر، وما بقيت السنون، فقد ابتدأ الصراع بآدم وزوجه، وسيستمر حتى يُنفخ في الصور، وتعصف الخلائق وتطوى الصحف ويأتي يوم الحساب.

مكان هبوط آدم وزوجه (عليهما السلام)

إنَّ آدم وزوجه (عليهما السلام) لما أكلا من الشجرة المحرمة أُخرجا من الجنَّة، وأُمرا بالهبوط إلى الأرض، ولم يثبت تعيين مكان نزول آدم وحواء حين أُهبطا إلى الأرض، ومع ذلك فهناك اختلاف واسع في تعيين مكان هبوطهما في الأرض، وفيما يلي ذكرها باختصار:

القول الأوَّل: كان هبوط آدم في مكة المكرمة وما جاورها، وهذا القول يتضمن أقوالاً، وهي كما يلي:

أ- أُهبط آدم إلى موضع البيت الحرام بين الركن والمقام، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس (رضي الله عنهما) [2].

ب-أُهبط آدم بالصفا وحوّاء (عليهما السلام) بالمروة، هذا القول محكي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) [3].

ت-**القول الثاني:** أُهبط آدم في الهند، وهو قول عامة المفسرين والمؤرخين، قال ابن جرير الطبري: (وأُنزل آدم فيما قال علماء سلف أمة نبينا محمد بالهند)[4]، وقال أيضا: (وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته الا بخبر يجيءْ مجيء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك، غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند، فإنّ ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبت بأخبار بعض هؤلاء[5]. وقال الشوكاني: (وقد روى عن جماعة من الصحابة أنّ آدم أهبط إلى أرض الهند)[6].

---

[1] (سورة: يس) {آية:60}/ الشعراوي، محمد متولي. الشيطان والإنسان، مكتبة الشعراوي الإسلامية، ط1، 1990م، ص63.

[2] الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة مكة المكرمة، ط2، 1385هـ- 1965م، ج1، ص39.

[3] ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن. تفسير ابن ابي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط.، ج1، ص131.

[4] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407، ج1، ص79.

[5] الطبري. تاريخ الأمم والملوك، ج1، ص80.

[6] الشوكاني. فتح القدير، ج1، ص71.

وقد ورد في نزول آدم في الهند حديث ضعيف مرفوع إلى النبي أخرجه ابن عساكر[1] من حديث أبي هريرة مرفوعا قال: نزل آدم بالهند واستوحش.... الحديث[2].

أمّا مكان نزول حواء (عليها السلام) فقيل: إنها نزلت في المكان الذي نزل فيه آدم في الهند، ذكره ياقوت الحموي[3]، وقيل: إنّها لم تنزل في مكان هبوط آدم في الهند، بل نزلت بجدّه، هذا القول منسوب إلى ابن عباس[4]، وكذلك ذكره غير واحد من أهل العلم[5]، وقيل نزلت بالمروة، وهو محكي عن ابن عمر كما سبق ذكره قريبا.

وترى الباحثة أنّ مكان نزول آدم وحواء هو من المبهمات في القرآن الكريم، وأنّ العلم به لا يفيد، والجهل به لا يضرّ.

المطلب الثاني: العبر والدلالات من هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض

أكرم الله تعالى الأبوين بإسكانهما في الجنّة، وأباح لهما أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا، إلا شجرة واحدة عيّنها لهما، ونهاهما عنها، ولكنهما أكلا منها، فكان ذلك سببا لإهباطهما وخروجهما وخروج ذريتهما تبعا لهما من الجنة إلى الأرض، ولم يكن إهباطهما إلى الأرض عبثاً ولغواً، بل فيه من الحكم الجليلة الكثيرة والعظيمة التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن وصفها، وفيما يلي الإشارة إلى بعضها[6]:

1) إنه (سبحانه وتعالى) إنّما خلق الخلق لعبادته، وهي الغاية العظمى والحكمة الكبرى من خلقهم وايجادهم، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[7]، ومعلوم أنّ كمال العبودية المطلوب من الخلق لا يحصل في دار النعيم والبقاء، إنما يحصل في دار المحنة والابتلاء، لأنَّ دار البقاء إنّما هي دار لذةٍ ونعيم، لا دار ابتلاء وامتحان وتكليف[8].

---

[1] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، المعروف بابن عساكر، الإمام العلامة الحافظ محدّث الشام، توفي سنة 571هـ. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص554.

[2] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر، 1415هـ - 1995م ج7 ص437. وضعفه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج1، ص579، رقم الحديث: 403.

[3] ياقوت الحموي بن عبد الله. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط1، 1397هـ - 1977م ج5 ص121.

[4] ابن سعد. الطبقات الكبرى، ج6، ص34.

[5] البغوي. معالم التنزيل، ج1، 64/ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص320..

[6] ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص3.

[7] (سورة: الذاريات) {آية:56-58}

[8] ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص4.

2) إنه (سبحانه وتعالى) لا شيء أحب إليه من تذلّل العبد بين يديه، وخضوعه وافتقاره وانكساره وتضرعه إليه، وهذا يتم بأسبابه التي توقف عليها، وحصول هذه الأسباب في دار النعيم المطلق والعافية الكاملة يمتنع، إذ هو مستلزم للجمع بين الضدين، والضدان لا يجتمعان[1].

3) إنه (سبحانه وتعالى) أراد أمرهم ونهيهم وابتلاءهم واختبارهم بذلك، وليست الجنّة دار تكليف، بل دار إنعام وإكرام، فأهبطهم منها إلى الأرض، ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وبذلك عرضهم للثواب العظيم الجزيل، الذي لا يؤول إليه إلا بعد عبور جسر الامتحان والابتلاء، ولا يمكن عبور هذا الجسر إلا بالامتثال لما أمر الله به وترك ما نهى عنه[2].

4) إنه (سبحانه وتعالى) أراد أن يتخذ من البشر أنبياء ورسلاً وصديقين وشهداء وأولياء وعبادا يحبهم ويحبونه، فخلّى بينهم وبين أعدائه، وامتحنهم بهم، فلما آثروه وبذلوا نفوسهم وأموالهم في مرضاته ومحابّه، نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن لينال بدون ذلك أصلاً، فدرجة الخلد والرسالة والنبوة والصديقية والشهادة والولاية والعبودية الخاصّة والحب فيه والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه عنده من أفضل درجات المخلوقين، وأشرف مقاماتهم، بل هي نهاية كمالهم، ولم تكن لتحصل لهم إلا على الوجه الذي قدره وقضاه من إهباط آدم إلى الأرض، وجعل معيشته ومعيشة أولاده فيها، فكان إنزالهم إلى الأرض من كمال الإحسان وتمام الإنعام عليهم[3].

5) إنه (سبحانه وتعالى) أنزلهم إلى دار يكون ايمانهم فيها بالغيب، والإيمان بالغيب هو الايمان النافع، وأمّا الايمان بالشهادة فكل أحد يؤمن يوم القيامة، يوم لا ينفع نفساً شيئا إلا إيمانها في الدنيا، فلو خلقوا في دار النعيم لكان لهم فيها لذة وكرامة، ولكن لم يكونوا لينالوا اللذة والكرامة والمنزلة الرفيعة التي تحصل لهم لإيمانهم بالغيب[4].

6) إنه تعالى له الأسماء الحسنى فهو الغفور الرحيم، العفو الحليم، الخافض الرافع، المُعز المُذل، المحيي المميت، ولابُد من ظهور آثار هذه الأسماء، فاقتضت حكمته (سبحانه وتعالى) أن يُسكن آدم وذريته دار الابتلاء، لتظهر آثار أسمائه الحسنى، فيغفر لمن يشاء، ويُعذب من يشاء، ويخفض من يشاء، ويرفع من يشاء، ويُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، ويعطي من

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص4.

[2] ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص5.

[3] المصدر السابق، ج1، ص5.

[4] المصدر السابق، ج1، ص5.

يشاء، ويمنع من يشاء، ويُحيي من يشاء ويُميت من يشاء إلى غير ذلك ممّا فيه ظهور آثار أسمائه الحسنى وصفاته العلا[1].

7) إنه (سبحانه وتعالى) له الخلق والأمر، والأمر هو شرعه ودينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وليست الجنة دار تكليف تجري عليهم فيها أحكام التكليف ولوازمها، وإنما هي دار نعيم ولذة وراحة، فاقتضت حكمته (سبحانه وتعالى) إخراج آدم وذريته منها إلى دار تجري عليهم فيها أحكام دينه وأمره، ليظهر فيهم، فقضى الأمر ولوازمه، وكما أنَّ أفعال الله وخلقه من لوازم كمال أسمائه الحسنى وصفاته العلا، فكذلك أمره وشرعه وما يترتب عليه من الثواب والعقاب من لوازم كمال ربوبيته وحكمته وعزته وغيرها من أسمائه الحسنى وصفاته العلا[2].

8) إنه (سبحانه وتعالى) جلّت حكمته، خلق أبا البشر آدم من قبضة من طين قبضها من جميع الأرض، طيبها وخبيثها، سهلها وحزنها، فعلم الله أنّ في ظهره من الذرية من لا يصلح للإقامة في دار كرامة، فأنزله إلى الأرض التي هي ميدان للصراع بين الخير والشر، واستخرج ذريته من صلبه، ويسّر كلا منهم لما خلق له، ثم ميزّهم في ذلك في دارين: دار الطيبين وهي الجنَّة التي لا تصلح إلا مقرا للطيبين، ودار الخبيثين وهي النار التي لا تصلح إلا مقراً للخبيثين، كما بين ذلك في كتابه فقال تعالى: (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[3].

9) إنّ الله يُحبّ الصابرين، والمُحسنين والتوابين والمتطهرين والشاكرين والمجاهدين الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بُنيان مرصوص لتكون كلمة الله هي العليا، فاقتضت حكمته أن يسكن آدم وذريته داراً يأتون فيها بهذه الصفات، فينالون بذلك أعلى الكرامات، وهي محبته لهم، فكان إسكانهم الأرض من أعظم النعم عليهم (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[4].

10) أراد الله عز وجل أن يُظهر لملائكته كمال علمه وحكمته، فإنه حين أخبر الملائكة بقوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) يعني آدم وذريته، قال الملائكة: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص5.

[2] ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص6.

[3] (سورة: الأنفال) {آية:37}/ ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص6.

[4] (سورة: البقرة) {آية:105}/ ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص7.

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) فأجابهم بقوله: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1]، فأظهر لهم ذلك العلم، بأن جعل في الأرض من خواص خلقه من أوليائه وأحبائه وأنبيائه ورسله الذين يُباهي بهم الملائكة لتقربهم إليه بالعبادات، وبذل نفوسهم في محبته ورضاه وتسبيحهم له آناء الليل وأطراف النهار، وذكرهم له قياما وقعوداً وعلى جنوبهم، وشكرهم له في كل أحوالهم: في السرّاء والضرّاء، والعافية والبلاء، والشدّة والرّخاء، مع معارضات الهوى والشهوة والشيطان، بخلاف الملائكة فإنهم يعبدون الله من غير مُعارض ولا ممانع ولا شهوة تعتريهم، فأظهر الله بذلك لملائكته علمه وحكمته في جعل آدم وذريته خلفاء في الأرض، رغم الحكمة التي خفيت على الملائكة[2].

11) لقد اقتضت حكمته تعالى خلق آدم وذريته من تركيب مستلزم لداعي الشهوة والفتنة، وداعي الإيمان والعقل والعلم، إذ كونه من تراب ونفخ فيه من روحه، فخلق فيه العقل والشهوة، وكل منهما داع إلى مقتضاه، ليتم بذلك مراده (سبحانه وتعالى)، ويُظهر لعباده عزته في جبروته، وحكمته في رحمته، ولطفه في سلطانه، فكان لا بُدَّ من إسكانهم في دار الابتلاء، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ولو شاء (سبحانه وتعالى) لخلقهم كالملائكة بلا شهوات، وأبقاهم في دار كرامته، ولكنهم حينئذٍ يكونون خلقا آخر غير بني آدم، الذين جمع لهم بين العقل الذي تمتاز به الملائكة، وبين الشهوة التي هي طبيعة الأرض التي خلقوا منها[3].

12) إنه (سبحانه وتعالى) أراد أن يعرّف عباده الذين أنعم عليهم، تمام نعمته عليهم، ليكونوا أعظم محبة وأكثر شكراً وأعظم التذاذاً بما أعطاهم من النعيم، فأنزل الجميع الصالحين وغيرهم إلى الأرض، ثم امتحنهم واختبرهم، ووفق من شاء منهم وخصّهم بأنواع النعيم واللذات والرحمات والكرامات رحمةً منه وفضلا، وخذل من شاء منهم واذاقهم أنواع الآلام والشدائد حكمةً وعدلاً، ولا شك أنّ المؤمن إذا رأى عدو الله وعدوه في أنواع العذاب والآلام، وهو يتقلّب في أنواع النعيم واللذة، ازداد بذلك سروراً وعظمت لذته وكملت نعمته[4].

13) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: "من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنّة، هاجر في سبيل الله أو جلس في

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:30}

[2] ابن قيم، مفتاح دار السعادة، ج1، ص8.

[3] المصدر السابق، ج1، ص8.

[4] المصدر السابق، ج1، ص9.

أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله! أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)[1] فالله (سبحانه وتعالى) خلق الجنة وجعل فيها مراتب ودرجات كما اقتضت حكمته، وأيضاً حكمته (سبحانه وتعالى) مُقتضيه عمارة هذه الدرجات كلها، فأنزلهم إلى دار العمل والمجاهدة والمسابقة ليقسمها بين أهلها- بعد عفوه ورحمته- على قدر بذلهم وجهدهم وأعمالهم[2].

14) إنّه (سبحانه وتعالى) خلق آدم وذريته ليستخلفهم في الأرض، كما أخبر (سبحانه وتعالى) في كتابه بقوله: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)[3] وقوله: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)[4] وقوله: (وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[5] فأراد (سبحانه وتعالى) أن ينقله وذريته في هذا الاستخلاف في الأرض إلى توريثه جنّة الخلد، فاقتضت حكمته أن أُدخل وزوجه الجنّة، وأسكنهما فيها مُدة معينة، فعرفا ما أعد الله فيها من النعيم لعباده الصالحين، ثم قصَّ قصتهما على بنيه كأنهم مشاهدون لها حاضرون فيها مع أبيهم، ليكونوا إليها أكثر شوقا وعليها أحرص، ويكون طلبهم لها أكثر وأشد[6].

15) إنه (سبحانه وتعالى) سبق في حكمه وحكمته، أنَّ الغايات المطلوبة لا تُنال إلا بأسبابها التي جعلها الله أسباباً مُفضية إليها، ومن تلك الغايات أعلى أنواع النعيم وأفضلها وأجلها، فلا تُنال إلا بأسباب نصبها مُفضية إليها، ولم يكن تحصيل تلك الأسباب إلا في دار المجاهدة، فكان إسكان الله آدم وذريته هذه الدار التي ينالون فيها الأسباب الموصلة إلى أعلى المقامات في اتمام انعامه عليهم[7].

---

[1] رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: من انتظر حتى تدفن، ج9 ص125 حديث 7423.

[2] ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص10.

[3] (سورة: البقرة) {آية:30}

[4] (سورة: الأنعام) {آية:165}

[5] (سورة: الأعراف) {آية:129}

[6] ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص10.

[7] المصدر السابق، ج1، ص11.

المبحث التاسع: توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: ما ورد في القرآن حول توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض

أما الآيات القرآنية التي وردت في قضية توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض فهي:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1]

(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم)[2]

(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى، قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)[3]

توبة آدم (عليه السلام):

لما أكل آدم (عليه السلام) من الشجرة المُحرمة في الجنّة ندم على أكله منها، فتاب إلى ربه وأناب إليه، قال تعالى: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)[4] وقال تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[5] ولذلك يعتقد جميع المسلمين أنّ آدم (عليه السلام) تاب إلى الله تعالى من تلك المعصية، وأنّ الله تعالى لقنه كلمات التوبة وتاب عليه.

واختلف أهل العلم في بيان تلك الكلمات التي تلقاها آدم من ربه على عدة أقوال هي:

القول الأول: هذه الكلمات هي الوارد ذكرها في قوله تعالى: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[6] وذلك مباشرة بعد قوله تعالى: (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:30}

[2] (سورة: البقرة) {آية:37}

[3] (سورة: طه) {آية:122-124}

[4] (سورة: طه) {آية:121-122}

[5] (سورة: البقرة) {آية:37}

[6] (سورة: الأعراف) {آية:23}

لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ)، مما يشير إشارة قوية الى أنّ المقصود بالكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي هذه الكلمات، لأنّ القرآن يفسر بعضه بعضا، وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري[1]، وابن الجوزي[2] لموافقة ظاهر القرآن له.

القول الثاني: هناك أقوال مبنية على آثار لم تصل إلى درجة الصحة، نقلها بعض المفسرين، منها: ما روي عن أُبيّ بن كعب (رضي الله عنه) أنّه قال: قال رسول الله (ﷺ): (قال آدم (عليه السلام): أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة؟ قال: نعم. قال: فذلك قوله: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)[3]، ونحوه قال الحسن وقتادة[4].

القول الثالث: هي الحياء والدعاء والبكاء، ذكره البغوي والقرطبي[5]، وقيل: هي الندم والاستغفار والحزن، ذكره القرطبي[6].

هذه الأقوال وإن كانت مُختلفة في ألفاظها وعباراتها، لكنها مجتمعة في معناها ومفهومها ومُتفقة في الدلالة على أنّ آدم ندم على فعله واعترف بذنبه وأناب إلى ربه، وأنه طلب المغفرة والرحمة من ربه (سبحانه وتعالى)، فلقّاه الله كلمات من عنده (سبحانه وتعالى) فقبلها آدم وعمل بها وتاب بقوله إياها وعمله بها إلى الله من خطيئته، فتاب الله عليه فغفر له ما صدر منه[7].

وترى الباحثة أنّ هذه الأقوال –ما عدا القول الأول– مبنية على آثار ضعيفة لا يمكن أن نفسر القرآن بها، لذا فأولى هذه الأقوال هو القول الأوّل لموافقة ظاهر القرآن الكريم له، ولكون القرآن يفسر بعضه بعضا كما هو معلوم.

---

[1] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص245.

[2] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ – 1992م ج1 ص213.

[3] ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم، ج1، ص135. رقم الحديث: 410، وإسناده ضعيف، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره، ج1، ص81: (هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع)، وقد ذكر مُحقّق تفسير ابن أبي حاتم أن في هذا الاسناد أربع علل.

[4] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص243.

[5] البغوي. معالم التنزيل، ج1، ص56/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص324.

[6] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص324.

[7] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص245.

استخلاف آدم في الأرض

لما خلق الله (سبحانه وتعالى) آدم أسكنه الجنَّة، وكان إسكانه فيها لوقت محدود، وليس للأبد، لأنَّ الله (سبحانه وتعالى) كان قد أخبر ملائكته قبل أن يخلقه بأنه سيجعله خليفة في الأرض، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1].

وقد اختلف أهل العلم في بيان المراد من الخليفة، وبيان معنى الخلافة وتفسيرها، ويمكن تلخيص كلامهم من خلال نقطتين:

النقطة الأولى: بيان المراد بالخليفة في الآية

اختلف العلماء في بيان المراد بالخليفة في الآية على أقوال، هي كما يلي:

القول الأوَّل: المراد بالخليفة آدم، وهذا هو الظاهر المتبادر من سياق الآية لأنَّ الله (سبحانه وتعالى) قال: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ولم يقل: (إني جاعل في الأرض خلائف)، ثم ذكر آدم في الآيات التالية بقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...) فهذا السياق أيضا يقوي القول أنَّ المراد بالخليفة هنا آدم، وأنّ آدم اسم لذلك الخليفة[2]، وهذا القول ذهب إليه جماعة من المفسرين، حتى عزاه القرطبي إلى جميع المفسرين فقال: (والمعنى بالخليفة هنا في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم)[3].

القول الثاني: المراد بالخليفة أولاد آدم الذين يخلفون أباهم آدم، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله، وهذا القول ذهب إليه الحسن البصري[4].

ويدّل على ذلك قوله تعالى: (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) لأنَّ آدم لم يكن ممن يفسد في الأرض، ولا ممن يسفك الدماء، وإنّما حصل ذلك من بني آدم[5]، فدّل على أنَّ المراد بالخليفة أولاد

---

[1] (سورة: البقرة) {آية:30}

[2] الشوكاني. فتح القدير، ج1، ص62/ الألوسي، روح المعاني، ج1، ص220.

[3] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص263.

[4] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص200.

[5] المصدر السابق ج1، ص200.

آدم وليس هو، وكذلك قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)[1] وقوله تعالى: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)[2] ففي هذه الآيات دلالة على أنَّ الخليفة من بني آدم.

القول الثالث: المراد بالخليفة آدم وبنوه، وليس آدم وحده، ولا بنوه دون أبيهم، ولكنه لم يذكر بني آدم هنا، واكتفى بذكر أبيهم استغناء بذكر الأب عن ذكر الأبناء، كما قد يستغنى بذكر أبي القبيلة عن ذكر أبنائها وأفرادها، وهذا القول ذكره الزمخشري[3] وبعض المفسرين، ومنهم: النسفي وأبو السعود والشوكاني وصِدّيق حسن خان[4]، والعلامة ابن القيم وقال: (لا خلاف أنَّ المراد به آدم وذريته)[5]، وعليه يَدّل كلام الحافظ ابن كثير إذ قال: (وليس المراد ههنا بالخليفة آدم فحسب، كما يقوله طائفة من المفسرين... والظاهر أنه لم يرد آدم عينا، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)، فإنهم أرادوا أنّ من هذا الجنس من يفعل ذلك[6].

وقال أيضاً: (أخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلاً لهم: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً).

أعلم بما يُريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) وقال: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) وأخبر بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته، كما يُخبر الأمر العظيم قبل كونه[7].

والذي يظهر للباحثة أنَّ الآية الكريمة تحتمل الأقوال الثلاثة المذكورة، إلا أنه يمكن أن يقال: إنّ أرجح هذه الأقوال هو القول الثالث، أي أنّ المراد بالخليفة هم آدم وبنوه وذلك لما يلي:

1- أنّ هذا القول أعمّ وأشمل، إذ القول الأوّل خاص بآدم، والثاني خاص ببني آدم، وأما القول الثالث فهو عام شامل لآدم وبنيه، فحمله على ما هو أعم وأشمل أولى وأحسن[8].

2- أنّ الله تعالى خلق آدم من الطين، ونفخ فيه من روحه، وتوارث ذلك فيه بنوه، فلهم حظ عظيم من خلق أبيهم وتصويره، وممّا أكرم به أبوهم، لأنه أصلهم الذي تفرعوا عنه، فلا يبعد أن يكون لهم شرف من الخلافة مع أبيهم.

---

[1] (سورة: الأنعام) {آية:165}

[2] (سورة: النمل) {آية:62}

[3] الزمخشري. الكشاف، ج1، ص251.

[4] النسفي. مدارك التنزيل، ج1، ص78/ أبو السعود. تفسير أبي السعود، ج1، ص81/ الشوكاني. فتح القدير، ج1، ص62.

[5] ابن قيّم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص152.

[6] ابن أبي حاتم. تفسير ابن ابي حاتم، ج1، ص69.

[7] ابن كثير. البداية والنهاية، ج1، ص70.

[8] البهي الخولي. آدم (عليه السلام)، ص122.

3- أن الحكمة من الخلق والغاية من الوجود، وعمارة الأرض والاستفادة ممّا فيها عام لآدم وبنيه، وليس خاصاً بآدم دون بنيه. قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[1]، وقال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)[2] وقال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)[3] وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[4].

فهذه الوجوه تؤيد القول بأنّ المراد بالخليفة في آية البقرة هو جنس الخليفة، فهو بمعنى الخلائف والمراد به آدم وبنوه.

وأمّا ورود لفظ الخليفة في قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) بالإفراد دون الجمع، فهذا يمكن توجيهه بأن يقال: هذا مفرد ولكن أريد به الجمع، أي: خليفة بمعنى خلائف، يدّل على ذلك قول الملائكة: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) فإنّ آدم لم يكن ممّن يُفسد في الأرض، ثم إنّ إطلاق المفرد وارادة الجمع وارد في اللغة العربية بكثرة[5]، ومن ذلك قوله تعالى: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[6] أي: أئمة، وقوله تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا)[7]؛ أي: أنفسا، وقوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)[8] يعني: في جنات وأنهار، بدليل قوله تعالى: (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى)[9].

فكذلك هنا أطلقت كلمة: (خليفة)، وأريد بها خلائف، فلا يكون مقصوراً على آدم بل يكون شاملاً له ولبنيه.

---

[1] (سورة: الذاريات) {آية:12}

[2] (سورة: الطلاق) {آية:12}

[3] (سورة: هود) {آية:61}

[4] (سورة: البقرة) {آية:21-22}

[5] الشنقيطي. أضواء البيان، ج1، ص46.

[6] (سورة: الفرقان) {آية:74}

[7] (سورة: النساء) {آية:4}

[8] (سورة: القمر) {آية:54}

[9] (سورة: محمد) {آية:15}

النقطة الثانية: بيان المراد من الخلافة وتفسيرها.

إذا عُلم أنَّ المراد بالخليفة عند أكثر أهل العلم هو جنس الخليفة، وأنه ليس مقصوراً على آدم فحسب بل أبناؤه وذريته داخلون فيها، فما معنى هذه الخلافة، وما تفسيرها؟ وهل هي شاملة لجميع بني آدم أم لبعضهم دون بعض؟ فقد اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال، ويمكن تلخيصها في ثلاثة أقوال، وهي كما يلي:

القول الأوَّل: أنّ هذه الأرض كانت معمورة قبل أن ينزل عليها آدم، وجاء آدم بعدهم، وكان هو وبنوه خلفاء لمن سبقهم من المخلوقات، قال العلامّة ابن القيّم: (وجمهور أهل التفسير من السلف والخلف، على أنّه جعله خليفة عمّن كان قبله في الأرض)[1].

وعلى هذا، فالخلافة هنا عبارة عن ذهاب مخلوقات ومجيء آدم وبنيه بعدهم في مكانهم، وتكون عامّة لجميع بني آدم، من غير تفريق بين المسلمين منهم والكفار، أو الصالحين منهم والفجّار، ويدّل على هذا القول كلمة (خليفة)، لأنّ الخلافة فيها معنى الدلالة على ذهاب قوم ومجيء آخرين، ولذلك سُمّي الخليفة خليفة، لأنَّ الثاني يجيء بعد الأول فيقوم مقامه، وهذا القول يندرج تحته اقوال هي:

أ) كانت هذه الأرض يسكن فيها قبل أن يخلق آدم الجن، ثم جاء آدم بعدهم، فكان هو وبنوه خلفاء عنهم، ويمكن الاستدلال لهذا القول بقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ)[2]، فهذه الآية تدّل على أنّ خلق الجانّ مُتقدّم على خلق الإنسان، فهم سبقوا آدم وبنيه في الخليقة، وجاء آدم وبنوه بعدهم فكان هو وذريته خلفاء عنهم.

ب) إن هذه الأرض كان فيها الملائكة، وجاء آدم وبنوه بعدهم فكانوا فيها خلفاء عنهم، وهذا القول ذكره غير واحد من المفسرين، منهم ابن القيّم والشوكاني[3].

ت) كان قبل آدم أجناس بشرية أخرى، فجاء آدم بعدهم، فكان هو وبنوه خلفاء عنهم، حكاه الرازي في تفسيره عن الإمام محمد بن علي الباقر[4]، ولكن كل هذه الدعاوى لا تعدو أن تكون مزاعم وخيالات، لأنه إذا كان القرآن الكريم والأحاديث النبوية لم تذكر لنا سوى آدم الذي نعرفه بأبي

---

[1] ابن قيّم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص152.

[2] (سورة: الحجر) {آية:26-27}

[3] ابن قيم. مفتاح دار السعادة، ج1، ص152/ الشوكاني. فتح القدير، ج1، ص62.

[4] الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج19، ص179.

البشر، فالقول بوجود غيره مجازفة بلا برهان، ومخالف لما جاء عن الله ورسوله، فقد سبق أن ذكرت في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة أنّ تاريخ البشرية على هذه المعمورة بدأ منذ وجود أبينا آدم عليها، وأنه أبو البشر وأبو الناس كلهم أولهم وآخرهم، فالواجب أن نقف عند نصوص الكتاب والسنّة، فهي صريحة واضحة، ثم نكل علم ما لم يُبينه الله تعالى ولا رسوله أو ما لا يتضح لنا إلى الله تعالى[1].

وترى الباحثة أنّ أقوى هذه الوجوه المذكورة ضمن القول هو الوجه الأول، أي: كونهم خليفة عن الجن، لكونه أقرب من قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ)[2]، وأمّا ما عداه من الوجوه فليس معها ما يستأنس به.

القول الثاني: أنّ هذا الخليفة يكون له نسل وذرية، فيخلف كل قرن وجيل منهم من قبله، فقد خلف بنو آدم أباهم، وخلفهم بنوهم وهكذا، فالخلافة على هذا القول عبارة عن ذهاب أجيال من بني آدم ومجيء آخرين منهم مكانهم، فتكون عامة كالقول الذي قبله لجميع بني آدم، من غير تفريق بين الكافرين والمؤمنين منهم.

وحُكي عن ابن عباس وابن مسعود وغيره من الصحابة: أنّ الله (جل ثناؤه) قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضا[3]، وإليه ذهب الحسن البصري[4]، وذكره الرازي[5].

القول الثالث: المقصود بالخلافة هو الخلافة في إجراء أحكام الله، وتنفيذ قضاياه وإقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم بين عباده في الأرض بالحق.

وهذا القول ذكره جماعة من المفسرين: ابن الجوزي وابن عطية والرازي وغيرهم، وأكثرهم عزاه إلى ابن مسعود، وبعضهم عزاه إلى ابن عباس ومجاهد والسدّي[6].

---

[1] الخولي. جمعة علي. تاريخ الدعوة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1404هـ – 1984م، ج1، ص56.

[2] (سورة: الحجر) {آية:26-27}

[3] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص200.

[4] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص200/ ابن أبي حاتم في تفسيره، ج1، ص111.

[5] ابن الجوزي. زاد المسير، ج1، ص60/ ابن عطية الأندلسي. المحرر الوجيز، ج1، ص164/ الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج2، ص165/ النسفي. مدارك التنزيل، ج1، ص78/ الشنقيطي. أضواء البيان، ج1، ص46.

[6] ابن الجوزي. زاد المسير، ج1، ص60/ ابن عطية الأندلسي. المحرر الوجيز، ج1، ص164/ الفخر الرازي. التفسير الكبير، ج2، ص165.

وعلى هذا القول لا تكون الخلافة عامّة لجميع بني آدم المسلمين منهم والمشركين، كالقولين السابقين، بل تكون خاصة لبعضهم دون بعض، وقد اختلف أصحاب هذا القول في بيان من تشملهم هذه الخلافة، ومن لا يكون داخلاً فيها على أقوال وهي كما يلي:

أ- منهم من اقتصر على القول بأنّ آدم خليفة الله في أرضه وسكت عن غيره.

قال السمعاني: (قيل: إنما سمي خليفة لأنّه خليفة الله في الأرض لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه، وهذا هو الأصح)[1]. ونحوه قال البغوي، والقرطبي[2].

ب- ومنهم من اقتصر على القول بأنّ آدم جعله الله تعالى خليفة في أرضه، وكذلك داوود، فلا يقال لأحد غيرهما: إنه خليفة الله، قال البغوي: (لا يُسمّى أحدٌ خليفة الله بعد آدم وداود (عليهما السلام)، قال الله (سبحانه وتعالى): (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وقال: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ))[3]

ت- ومنهم من ذهب إلى أنّ آدم وداوود وجميع الأنبياء، وكذلك الصالحون من بني آدم الذين يقومون بإقامة شرع الله في أرضه، هؤلاء جميعا استخلفهم الله، وجعلهم خلائف في أرضه، لأنّ الله (سبحانه وتعالى) يقول: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)[4]، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)[5]، وقال تعالى: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)[6].

ذكر هذا القول البيضاوي في تفسيره[7].

أقوى هذه الوجوه فيما يظهر للباحثة هو الوجه الأخير لكونه أعمّ وأشمل، ولأنه أوفق لما ذهب إليه أكثر أهل العلم من حمل الخليفة في الآية على الجنس، أي: الخلائف، ولأنه إذا كان آدم وداوود (عليهما السلام) كلّ منهما خليفة في الأرض، فغيرهما من الأنبياء والمرسلين، ولا سيما أولو العزم منهم وبخاصةً أفضلهم وسيدهم محمد (ﷺ) أولى بذلك.

---

[1] السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار. تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1418هـ - 1997م ج 1، ص64.

[2] البغوي. معالم التنزيل، ج1، ص60/ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص263.

[3] (سورة: ص) {آية:26}/ البغوي. أبو محمد الحسين بن محمود. شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1403هـ - 1983م ج14، ص75.

[4] (سورة: الأنعام) {آية:165}

[5] (سورة: فاطر) {آية:39}

[6] (سورة: النمل) {آية:62}

[7] البيضاوي. أنوار التنزيل واسرار التأويل ج1، ص135.

ولكنّ هذا القول يَرد عليه إشكال، وهو هل يصح أن يُقال لأحد أنّه خليفة الله في أرضه؟ فقد منعه جماعة من أهل العلم[1]، لما يلي:

1- أن الخليفة يكون كفؤا للمستخلف مشابها له لأنه يقوم مقامه، والله (سبحانه وتعالى) لا كفء ولا مثيل ولا نظير له، فلا يمكن أن يكون أحدٌ خليفة الله تعالى.

2- الأصل أنّ الخلافة هي النيابة عن الغير لغيابه أو عجزه، وهذه المعاني كلها مُنتفية عن الله (سبحانه وتعالى).

3- أن الخليفة يكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، والله (سبحانه وتعالى) غني بذاته عمّا سواه، بل هو (سبحانه وتعالى) يكون خليفة لغيره كما جاء في دعاء السفر: (...اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل)[2].

4- كراهة السلف هذا الإطلاق: فقد كره السلف أن يقال لأحد: إنه خليفة الله، فعن ابن أبي مليكة[3] قال: قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله ولكنني خليفة رسول الله، أنا راض بذلك[4].

5- وكذلك عدل الصحابة عن تسمية ابي بكر خليفة الله، وإنما سمّوه خليفة رسول الله، وأيضا لا يُعلم أنّ الأُمة الإسلامية سمّت أحداً من العلماء أو الأمراء أو الحكام أنه خليفة الله في أرضه.

فهذه الوجوه المذكورة تدّل على أنّه لا يصح أن يقال لأحد إنه خليفة الله، ولا شكَّ أن هذه الوجوه المذكورة في غاية القوّة والحُجّة، إلا أنها مبنية على حمل الخلافة على الخلافة عن الله والنيابة عنه (سبحانه وتعالى) وهذا كفر وشرك من غير شك.

ولكن يمكن توجيهها بحيث لا محذور فيه، وهو أن يقال: إنّ الخلافة في إقامة شرع الله وتنفيذ أحكامه والحكم بين عباده بالحق لا يعني أنها خلافة عن الله تعالى، أي الخلافة التي تكون لموت المستخلف والمنوب عنه أو لغيابه أو لعجزه واحتياجه أو عزله أو اعتزاله، وإنّما هي خلافة تشريف وتكريم، والله (سبحانه وتعالى) يكرم من شاء من عباده باختيارهم خليفة له، وتوفيقهم لإقامة شرعه، وتنفيذ أحكامه بين عباده في الأرض، فهم لا يحكمون إلا بما حكم الله به، ولا يكونون خليفة إلا باستخلاف الله تعالى

---

[1] ابن قيّم الجوزية. زاد المعاد في هدي خير العباد، ج2، ص474.

[2] رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، ج2، ص978، رقم الحديث: 425

[3] ابن أَبي مُلَيْكَة (ت:117هت) هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكيّ: قاض، من رجال الحديث الثقات، ولاه ابن الزبير قضاء الطائف. أنظر: الزركلي. الأعلام ج4 ص102.

[4] ابن سعد. الطبقات الكبرى، ج3 ص183.

إياهم، فهم خلفاء الله بمعنى أنهم خلفاء لله تشريفا وتكريما، وليسوا خلفاء عن الله أو نائبين عنه (سبحانه وتعالى).

قال الراغب الأصفهاني: (الخلافة: النيابة عن الغير، إمّا لغيبة المنوب عنه وإمّا لموته، وإمّا لعجزه، وإمّا لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)[1] وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ)[2] وقال تعالى: (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ)[3].

ويمكن الاستدلال لهذا التوجيه من الكتاب والسُنة وأقوال السلف وفيما يلي بيان ذلك:

أ- من الكتاب:

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)[4] وقال تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى)[5] وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ)[6]، فالله (سبحانه وتعالى) نسب الاستخلاف إلى نفسه، وبيَّن أنّه هو الذي جعلهم خلائف في الأرض، وأنّ عليهم أن يحكموا بين عباده بالحق من غير اتباع الهوى، فالذي يستخلفه ويجعله خليفة، ويوفقه للقيام بتنفيذ أوامر الله وإقامة شرعه، ويمكنه من ذلك هو الله (سبحانه وتعالى) لا غيره.

وقال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)[7] وقال موسى لقومه (كما حكى الله تعالى عنه): (قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[8].

فالله (سبحانه وتعالى) وعد باستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ونسب الاستخلاف إلى نفسه، وكذلك نسَبه موسى إلى ربه، فالأرض كلها لله وهو يجعل فيها خليفة من شاء من عباده[1].

---

[1] (سورة: الأنعام) {آية:165}

[2] (سورة: فاطر) {آية:39}

[3] (سورة: هود) {آية:57}/ الراغب الأصفهاني. ابو القاسم الحسين بن محمد. مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، د.ط. ج1 ص314.

[4] (سورة: البقرة) {آية:30}

[5] (سورة: ص) {آية:26}

[6] (سورة: فاطر) {آية:39}

[7] (سورة: النور) {آية:55}

[8] (سورة: الأعراف) {آية:129}

[1] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص200.

ب-من السُنّة:

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: إنَّ الناس كانوا يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، قلت: يا رسول الله، أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله، أيكون بعده شر كما كان قبله؟ قال: نعم. قلت: فما العصمة من ذلك؟ قال: السيف. قلت: يا رسول الله ثم ماذا يكون؟ قال: إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه .... الحديث[1].

وهو في رواية بلفظ: فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه، وإن نهك جسمك وأخذ مالك.... الحديث[2].

ففقوله في الحديث: "إن كان لله خليفة في الأرض" وقوله: "إن رأيت خليفة الله في الأرض" بمعنى واحد، كما يقال: غلام زيد وغلام لزيد أو لزيد غلام، فهذه كلها عبارات متقاربة المعنى، والله أعلم[3].

ت-من أقوال السلف:

روي عن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي أنّ الله (جلَّ ثناؤه) قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضا[4].

قال ابن جرير الطبري: (فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه)[1] وقال الحافظ ابن حجر: (وذكر الطبري أنّ مقتضى ما تعلمه السدّي عن مشايخه أنه خليفة الله في الأرض)[2].

والذي يظهر للباحثة أنّه يمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يقال: إنَّ هذه الأرض كانت معمورة قبل أن ينزل عليها آدم فكان هو وذريته خليفة عمّن كان قبلهم من المخلوقات، ثم لمّا توفي آدم خلفه بنوه، واستمر ذلك جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن، فهذه خلافة عامّة شاملة لجميع بني آدم، وأنَّ آدم (عليه

---

[1] رواه أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب: الفتن، باب: ذكر الفتن ودلائلها، ج4 ص 153 حديث رقم 4246 وقال عنه الألباني: حديث حسن.

[2] رواه الإمام ابن حنبل، أحمد. مسند الامام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م،ج38 ص422 حديث رقم: 23425، وقال عنه الأرناؤوط: حديث حسن.

[3] الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص200.

[4] المصدر السابق، ج1، ص202.

[1] المصدر السابق، ج1، ص203.

[2] ابن حجر العسقلاني. فتح الباري، ج6، ص364.

السلام) كان قد أكرمه الله (سبحانه وتعالى) بالنبوّة، التي هي اصطفاء واختيار وفضل وإنعام من الله (سبحانه وتعالى) يُكرم بها من شاء من عباده، فآدم عبد من عباد الله المقربين ونبي من أنبيائه المكرمين المختارين، ولا شك أنّ النبي يكون مأموراً بإحقاق الحق، وإبطال الباطل، بتطبيق ما أوحى الله إليه، من شرعه وأمره ونهيه والحكم بين عباده والدعوة إليه وتلقينه أتباعه وأمته، فآدم قام بما أُمر به من الله (سبحانه وتعالى) ولقنه ذريته، فتوارث ذلك ابناؤه بإذن الله وتوفيقه لهم، فجعلت لهم بذلك الخلافة.

المطلب الثاني: العبر والدلالات من توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض

يمكن اجمال العبر والدلالات من توبة آدم (عليه السلام) واستخلافه في الأرض بما يلي:

1) خلق الله تعالى آدم في الأرض واستخلفه فيها، كما استخلف ذريته من بعده، لحكمة ارادها وهي أن يقوموا بعبادته وإقامة شرعه في الأرض، وعمارة الأرض كما أمر الله، وجعل كل الكون موصلاً إليه دالاً عليه، قال تعالى مخاطباً داوود (عليه السلام) عن الحكمة من استخلافه: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)[1] فالحكم بالحق هو معيار التفاضل بين الأُمم في معيشة الاستخلاف، وبقدر الحرص على دوام الحكم بالحق يدوم استخلاف الأُمة، فالاستخلاف من سُنن الله القابلة للتغيير في حال ابتعاد الأُمة عن أمر الله.

2) من الاشارات الهامّة في قضية الاستخلاف: أنّ الله تعالى لا يستخلف قوماً مجاملة لهم، وإنما يستخلف من اجتهد في تحقيق الأسباب، لأداء المهمّة المناطة به على أحسن وجه، ومنها أنّ الاستخلاف له عدّة أنواع تتفاوت في مقدار المسؤولية، فالرجل مُستخلف على أهل بيته، وصاحب المال مُستخلف في ماله، ومنها أنّ الإنسان يتنقّل في مواطن الخلافة بقدر ما يقوم بحق المستخلف ويؤدي الأمانة، والاستخلاف من نِعم الله المُستحقة للتفكر، فالله تعالى حيث يستخلف القوم ينظر كيف يعملون بمنحة الاستخلاف.

3) من الثابت في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، أنّ الخلافة ستعود إلى المسلمين يوماً ما، وعودتها مرتبطة بعزم المسلمين الصادق على الإصلاح والتغيير، بأن تمضي الأُمّة إلى الأمام بتمسّكها بالكتاب والسنة، لتحقيق النصر والتمكين، من خلال التدرج بها من حالة الضعف والوهن التي أصابتها، إلى حالة القوة والمنعة المادية والمعنوية.

4) اقتضت مشيئة الله تعالى أن يستخلف الإنسان في الأرض، لذا ترى الباحثة أنه لا يمكن التغاضي عن هذه الحقيقة خلال تدارس أي فصل من فصول قصة آدم (عليه السلام)، فالإنسان خُلق ليُستخلف في الأرض، وليقوم بمهمته التي يمكن أن يُطلق عليها (خلافة).

---

[1] (سورة: الحجر) {آية:41-42}

5) من دلالات استخلاف الإنسان في الأرض تحقيق سنّة الله في الابتلاء، التي من خلالها يمحّص الله الناس، ويُظهر حقيقة ابتلائهم، وهذا لا يمكن أن يتحقق في الجنة، فكان استخلافهم في الأرض وسيلة لتحقيق ذلك.

6) توبة آدم (عليه السلام) التي كانت فاتحة حياته الجديدة في الأرض، والتي كانت لتحقق معنى الخلافة في الأرض، هذه التوبة والإنابة هي من ضروريات تحقيق الخلافة، وإلّا كيف يمكن أن تكون الخلافة في الأرض، وهي مجبولة بالمعاصي والذنوب، وفي هذا إشارة قوية للمسلمين في كل زمان ومكان، أن إذا أردتم أن تعود لكم الخلافة الإسلامية بكل معالمها وعزّتها وكرامتها، فلا بد أن يكون عنوان ذلك التوبة والإنابة إلى الله تعالى، والاستمساك بشريعة الله تعالى.

7) توبة آدم واستخلافه في الأرض، فيه أيضا دلالة قوية للأمة في زماننا المعاصر، لتتعرّف على معالم نكستها أمام قوى الظلم والعدوان في العالم، كالبعد عن معالم استخلافها في الأرض، وترك شريعة ربها، والانحراف عن جادة الصواب، فإذا أرادت الأمة أن تعود أدراجها نحو العزة المفقودة والكرامة الضائعة والنصر الموعود، فأمامها طريق واحد، يمكنها أن تعنونه (توبة آدم)، التي على غرارها يمكن أن تصنع توبة، ترفعها من ذلّ وهزيمة إلى عزّ ونصر وتمكين.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

في خاتمة هذه الرسالة التي تمت بحول الله وقوّته، تشير الباحثة إلى أبرز النتائج وأهم التوصيات والمقترحات:

أولا: نتائج الدراسة:

1) لا يخلو فعل من أفعال الله تعالى أو أمر من أوامره من حِكمة وغاية حميدة، قد يدرك بعضها البشر ويخفى عليهم غيرها، فالحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده لا شريك له (سبحانه وتعالى).
2) خلق الله (سبحانه وتعالى) آدم (عليه السلام) من الطين، وخلقه بيده التي هي صفة من صفاته الذاتية، كما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه.
3) الروح الذي نُفخ في آدم خلق من خلق الله تعالى، وهو مُخالف لهذا الجسم المحسوس، وجعل الله تعالى حياة الأجساد به، ولم يُعطِ الله علمه أحداً من العباد، وأضافه إلى نفسه تشريفا وتكريما لآدم، وهي إضافة خلق وملك، لا أنه جزء منه.
4) إنّ الله (سبحانه وتعالى) كلّم أبا البشر آدم قبلاً، وخاطبه بكلام حقيقي مسموع ومفهوم، وكلامه (سبحانه وتعالى) غير مخلوق بل صفة من صفاته الذاتية والفعلية كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.
5) إنّ آدم كان طويل القامة فكان طوله ستين ذراعا في السماء، وكان كثير الشعر كأنه نخلة سحوق، وكان في غاية الجمال البشري ونهايته، وإنّ أهل الجنة يدخلون الجنّة يوم القيامة على صورة أبيهم آدم، ستين ذراعا في السماء.
6) إنّ الحديث: "خلق الله آدم على صورته" صحيح ثابت عن النبي (ﷺ)، ولم يكن عند السلف خلاف في رجوع الضمير إلى الله تعالى، كما جاء مُصرحاً به في حديث ابن عمر وأبي هريرة (رضي الله عنهم)، وأنّ الصورة صفة من صفات الله الذاتية على الوجه اللائق به

(سبحانه وتعالى) كما جاء في هذا الحديث وغيره، فيجب الإيمان بثبوت هذه الصفة لله تعالى، كما يليق به (سبحانه وتعالى)، وعدم الخوض في تأويلها، وقطع الطمع عن إدراك كيفيتها.

7) خلق الله تعالى آدم من الطين في أحسن تقويم، ثم خلق منه زوجه حوّاء، ثم بارك في أولادهما وأحفادهما حتى ملأ بهم أقطار الأرض وأرجاءها، فهما أصل البشر، والناس كلهم من ذريتهما وأولادهما، وهذا هو أصل البشر الذي قرره الإسلام، وهو أصل كريم شريف، يشعر الإنسان في نفسه العِزّة والكرامة والسعادة بالانتساب إليه، كما أنه يُعطي الخالق الحكيم حقه من الإجلال والتعظيم، ويستوجب من العبد شكره وامتنانه تجاه خالقه وربّه، وهو الذي يتوافق مع العقل السليم والفكر المستقيم، وأمّا ما عداه من الأقوال في أصل الإنسان فهي أقوال باطلة عارية عن الأدلة والبراهين، مخالفة لأدلة الكتاب والسُنة والعقل السليم، يترفّع العاقل من الانتساب إليها لأنّ فيها تعطيلا للخالق عن خلقه وكماله المُقدّس، وإنزالا للمخلوقين بمنزلة الخالق، وإثباتا لآلهة كثيرة وأرباب مُتفرقة، ونسبة للخلق إلى غير الخالق تعالى، أو فيها إنكارا للخالق (جلّ وعلا) إنكارا كليا، وهذا كله من أعظم الظلم واشنع الباطل، فهي كلها ظلمات، وضلالات بعضها فوق بعض.

8) إنّ الله (سبحانه وتعالى) أمر ملائكته بالسجود لآدم، فامتثلوا جميعا لأمر ربهم وخروا ساجدين لآدم، ولم يكن سجودهم عبادة لآدم، وإنّما كان طاعة لله وقربه إليه وعبادةً له (سبحانه وتعالى)، وفي الوقت نفسه كان تكريماً وتشريفاً وتعظيماً لآدم، ولكن الآن لا يجوز لأحد من هذه الأُمّة أن يسجد لمخلوق أيا كان، بل يجب أن نُفرد الله وحده بالسجود وبجميع أنواع العبادات التي شرعها لنا وتعبدنا بها، مُخلصين له وحده لا شريك له (سبحانه وتعالى).

9) إنّ إبليس كان موقفه من آدم موقف عداء واستكبار، فلما أُمر بالسجود لآدم بعد نفخ الرّوح فيه امتنع عن السجود له، إباء واستكباراً وحسدا وغروراً، ولما عوتب على ذلك استند إلى قياس فاسد، وادّعى أنه خير من آدم، لكونه مخلوقا من النار وكون آدم مخلوقاً من الطين، واستمر في غوايته وتقديس عقله وتقديم رأيه على الأمر الإلهي، وصارت هذه المعارضة الإبليسية ميراثاً في أتباعه من بني آدم من وجوه كثيرة.

10) إنّ الله (سبحانه وتعالى) أسكن الأبوين في جنّة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وأباح لهما أن يأكلا منها حيث شاءا رغدا إلا شجرة حرمها عليهما، ونهاهما عن الاقتراب

منها، وحذرهما من كيد الشيطان لهما ولكن سبق القضاء عليهما، فوقعا في كيد الشيطان عدوّهما، وأكلا من الشجرة المحظورة، فلما أكلا منها أُمرا بالخروج من الجنّة.

11) إنّ الشجرة المحرّمة التي أكل منها آدم وحوّاء (عليهما السلام) في الجنّة لا نعلم عن حقيقتها شيئا، وكل الذي نعرفه أنها شجرة يُؤكل ثمرها.

12) إنّ آدم لما أكل من الشجرة المحرمة في الجنة، ندم على فعله، واعترف بذنبه، وأناب إلى ربه، وطلب المغفرة والرّحمة من ربه (سبحانه وتعالى)، فسمع الله دعاءه، وأجاب نداءه، وقبل توبته، وغفر خطيئته.

13) الخطيئة التي وقعت من آدم كانت خطيئة فردية، مُحيت بالتوبة وانتهى أمرها، ولم يبق شيء منها في ذمته ولا في ذمة أولاده.

14) إنّ آدم أُدخل الجنة يوم الجمعة، وكذلك أُخرج منها يوم الجمعة، وأمّا المدّة التي مكثها آدم فيها، فلا يمكن تحديدها على وجه الجزم واليقين، لعدم ورود الدليل الصحيح في ذلك.

15) أكثر الآثار المنقولة عن السلف تدّل على أنّ آدم نزل في الهند، فلا يبعد أن تكون الهند هي مهبط أبي البشر آدم، ولكن لا يمكن الجزم به.

16) إنّ عداوة إبليس لآدم وبنيه شديدة، فهو وجنوده يمارسون كل أسباب الغواية وأساليب الإضلال لإغواء بني آدم، وصدّهم عن الحق، وقطع صلتهم بالله (سبحانه وتعالى)، ولكن الله (سبحانه وتعالى) أنعم على بني آدم حين أنزل عليهم هداه، الذي من تمسّك به وحفظه يكون في حفظ الله وحمايته وكفالته ورعايته، فيكون في مأمن عن جميع أنواع الحزن والخوف والضلال والشقاء، ولا تصل إليه يد المُضلين، ولا تنجح فيه مكايد الشياطين.

17) إنّ الله (سبحانه وتعالى) أخرج ذرية آدم من ظهره في عالم الغيب، وهم صور كالذر، وأخذ من جميعهم العهد والميثاق على وحدانيته وربوبيته، فاعترفوا بذلك جميعا وأقروا به قولا، والفطرة السليمة الدالة على وحدانية الله وربوبيته من آثار ذلك الميثاق.

18) إنّ المناظرة التي جرت بين آدم وموسى (عليهما السلام) أمر من أمور الغيب، وقد أخبر النبي عنها، فيجب الإيمان بها، وهي تدّل على ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر، فمن أنكره يكون كافراً، ولا يصحّ الاحتجاج بها على مخالفة الأوامر الشرعية ونواهيها، فإنّ آدم لما وقع في المعصية تاب لله تعالى وطلب الرحمة والمغفرة منه (سبحانه وتعالى)، وصبر على المعصية التي جُعلت له ولذريته، وأرجع الأمر في ذلك إلى الله (سبحانه وتعالى)، فكذلك

يجب على من وقع في شيء من معصية الله تعالى، أن يبادر بالتوبة إلى الله وطلب المغفرة منه (سبحانه وتعالى)، وعدم الاتكال على القدر والاحتجاج به، فإنه حُجة باطلة عقلا وشرعاً.

19) إنّ الخلافة الوارد ذكرها في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ....)[1] شاملة لآدم وبنيه، وهي تحتمل ثلاثة معان تطرقت اليها الباحثة في موضعها.

20) حاجة الناس إلى الرسالة السماوية فوق حاجتهم إلى كل شيء، لكونها مدار سعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد امتنَّ الله عليهم إذ أرسل إليهم أنبياءه ورسله يحملون إليهم رسالة ربهم، وأول من اختاره الله (سبحانه وتعالى) لهذا المنصب العظيم هو أبو البشر آدم (عليه السلام).

[1] (سورة: البقرة) {آية:30}

ثانيا: توصيات الدراسة ومقترحاتها:

في ضوء النتائج والاستنتاجات المشار إليها فإن الدراسة توصي بما يلي:

1) إجراء أبحاث ودراسات مُستفيضه عن آدم (عليه السلام)، تتخصص في جوانب أخرى غير هذه الجوانب التي اهتمّت بها هذه الرسالة، تكون بمثابة تكملة لهذا البحث.
2) اقتباس كثير من جوانب قصة آدم لتعليمها في المدارس، ولكلّ المراحل نظراً لأهمية هذا الموضوع، ولما في قصة آدم من جوانب يمكن أن يكون مردودها التعليمي والتربوي ذا أهمية كبيرة على طلابنا ومدارسنا.
3) نشر الكثير من جوانب هذه الدراسة حول آدم (عليه السلام) في النشرات والمجلات ووسائل الاعلام، لتصل فائدتها الى عامة الناس.
4) أوصي الأئمة والخطباء والدعاة في المساجد باقتباس كثير من جوانب هذه الدراسة، وجعلها على شكل دروس ومواعظ وحلقات تربوية ومحاضرات تثقيفية، ففي قصة آدم جوانب كثيرة يمكن أن نستفيد ونفيد منها في كثير من المؤسسات التعليمية والتربوية والدينية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الآمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي. الاحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط.
- أحمد شوقي إبراهيم. موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء: أطوار الخلق وحواس الإنسان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1423هـ - سنة 2003م.
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة مكة المكرمة، ط2، 1385هـ-1965م.
- الألباني، محمد ناصر الدين. ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م.
- الألباني، محمد ناصر الدين. سنن الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- باحاذق، عمر. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، ط1، 1913هـ -1993م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- بدران، محمد فتح الله. العقيدة والفطرة، دار الفكر، مصر ط2، 1919م.
- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ - 2000م.
- البغوي. أبو محمد الحسين بن محمود. شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1403هـ - 1983م
- البغوي، أبو محمد الحسين بن محمود. معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ - 1997م.

- أبو بكر محمد زكريا. الشرك القديم والحديث، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، السعودية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1421هـ - 2000م.
- البهي الخولي. آدم (عليه السلام)، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2000.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. أحكام القرآن للشافعي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ-1994م.
- الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي، تحقيق: الألباني، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
- التهامي نقره، سيكولوجية القصّة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1974م.
- ابن تيميه، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. بُغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1408هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ-1999م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. الرّد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، د.ط.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1987م.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن. تفسير ابن ابي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط.

-
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ط 1379هـ.
- ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد. الاحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد شاكر، دار الإفتاء الجديد، بيروت، د.ط.
- ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة 1420هـ.
- خالد سليمان عبد الدلات، الشخصية في القصص القرآني، رسالة ماجستير، تاريخ المناقشة 1999م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. قصص السابقين، دار القلم، د.ط، 1436هـ-2015م.
- الخطيب، عبد الكريم. قصتا آدم ويوسف، دار الفكر العربي، د.ط.
- الخطيب، عبد الكريم. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، 1975م.
- خلف الله، محمد أحمد. الفن القصصي في القرآن الكريم، سينا للنشر، بيروت، ط4، 1999م.
- الخولي. جمعة علي. تاريخ الدعوة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1404هـ-1984م.
- أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داوود، تحقيق: الألباني، دار الفكر، د.ط.
- الداوودي، محمد بن علي. طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- الدقور، سليمان محمد. القصص القرآني، دار النفائس للنشر، ط1، 2010م.
- الدهلوي، إسماعيل بن عبد الغني. رسالة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط1، 1417هـ.

- الدوسري، عبد الرحمن بن محمد. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1404هـ-1984م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ-1985م.
- الذهبي، محمد السيّد حسين. التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط.
- الراغب الأصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1412هـ.
- الراغب الأصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد. دار القلم، دمشق، د.ط
- رضا، محمد رشيد. تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط2.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، دار الرسالة، السعودية، ط1، 1407هـ-1986م.
- الزحيلي، وهبه. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
- زرزور، عدنان. علوم القرآن، المكتب الإسلامي، ط1، 1410هـ-1981م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
- السبحاني، جعفر. التوحيد والشِرك في القرآن الكريم، مؤسسة الإمام الصادق، ط2، 1426هـ.
- ابن سعد، محمد بن سعد البصري الزهري. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ط.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط1، 1422هـ.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. تفسير أبي السعود، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط.

- سليمان، علي حسن محمد. القصّة القرآنية الخصائص والأهداف، ط1، 1415هـ.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار. تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1418هـ-1997م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ-1974م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- الشريف، فاطمة جمال الدين. من كنور القرآن الكريم، ط3، 1420هـ-2000م.
- الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي- الخواطر، مطابع أخبار اليوم، د.ط.
- الشعراوي، محمد متولي. الشيطان والإنسان، مكتبة الشعراوي الإسلامية، ط1، 1990م.
- الشعراوي، محمد متولي. قصص الأنبياء، دار التوفيقية للتراث، د.ط.
- الشنقيطي، محمد أمين. أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، سنة 1415هـ-1995م.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط 1404هـ.
- أبو شوفة، أحمد عمر. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2003، د.ط.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ.
- أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر. العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد ادريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408.
- الطاهر، علي عبد السلام. دراسة لأسلوب القصص القرآني، قصة يوسف (عليه السلام) نموذجا، د.ط، د.ت.
- طبارة، عفيف عبد الفتاح. مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1979م.

- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة، ط1، 1422هـ-2001م.
- طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د.ط.
- الطواهري، كاظم. بدائع الاضمار القصصي في القرآن الكريم، ط1، 1991م.
- ابن عادل، عمر بن علي. اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ-1998م ط1.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، الدار التونسية، سنة 1984.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. ديوان بشار بن برد، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط1، 1957م.
- عباس، فضل حسن. القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته، د.ط.
- عبد الله، عبد الرحمن داوود جميل. منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، رسالة ماجستير.
- أبو عزيز، سعد يوسف. قصص القرآن دروس وعبر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط2، 1334هـ-2013م.
- ابن عساكر، بو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415هـ-1995م.
- العمصي، أحمد جابر محمود. آدم (عليه السلام) بين اليهودية والنصرانية والإسلام دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، 1415هـ-1994م.
- عويس، عبد الرحمن محمد علي. القصّة في القرآن الكريم، بحث مُقدم في مادة علوم القرآن، د.ط.
- العيني، بدر الدين الحنفي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د.ط.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. جواهر القرآن، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م.

- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط1423هـ-2003م.
- القسطلاني، أحمد بن محمد. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية-مصر، ط7، 1323هـ.
- القطان، مناع بن خليل. مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف والنشر والتوزيع، ط3، 2000م.
- قطب، سيد. التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، د.ط.
- قطب، سيد. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط16، 1410هـ-1990م.
- ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب. إغاثة اللهفان من معايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ-1975م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبى بكر بن أيوب. تفسير القرآن الكريم. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1410هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدين، القاهرة، د.ط.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ - 1975م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. الصواعق المرسلة في الرّد على الجهمية والمُعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1408هـ.
- ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط1، 1408هـ-1988م

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.
- كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، د.ط.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، د.ط، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- متولي، أحمد مصطفى. الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.
- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، د.ط.
- مخلوف، حسنين محمد. صفوة البيان لمعاني القرآن، دار البحوث العلمية، مصر، ط1، سنة 1401هـ-1981م.
- مرزوق، عبد الصبور وآخرون، حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين، وزارة الأوقاف، مصر، ط1، 1423هـ-2002م.
- المزي، يوسف بن عبد الرحمن. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ-1980م.
- المزين، سليمان حسين، الأستاذ المساعد بقسم أصول التربية الجامعة الإسلامية- غزة، قراءة تربوية في قصة خلق آدم (عليه السلام)، رسالة ماجستير، سنة 2009/2008م.
- مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
- مشيل، صابر. القصّة القرآنية مفهوماً واسلوباً، د.ط.
- مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، دار المعارف، مصر، ط1، 1999م.

- المطعني، عبد العظيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ-1999م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب، ط3، 1414هـ.
- النجار. زغلول، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2، سنة 1431هـ-2010م.
- النجار، محمد الطيّب. تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، مكتبة المعارف، ط1، 1983م.
- نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع. شرح مُختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407هـ - 1987م.
- النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد إسماعيل. إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط1409هـ-1988م.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شُعيب. الضعفاء والمتركون، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط1، 1396هـ.
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

ملحقات الرسالة

ملحق بأسماء الأنبياء في القرآن الكريم والسور والآيات التي ذكرتهم

اسم النبي	السورة	رقم الآية
نوح (عليه السلام)	الأعراف	64-59
	يونس	74-71
	هود	49-25
	الأنبياء	77-76
	المؤمنون	31-23
	الفرقان	37
	الشعراء	122-105
	العنكبوت	15-14
	الصافات	82-75
	الذاريات	46
	القمر	16 -9
	التحريم	10
	نوح	28-1
موسى (عليه السلام)	البقرة	764-49
	النساء	164 -153
	المائدة	26-20
	الانعام	154
	الأعراف	156-104
	الأعراف	171-159
	يونس	95-75
	هود	99-96
	هود	110
	ابراهيم	9-5
	الإسراء	104-101

	الكهف	82 -60
	مريم	53-51
	طه	99-9
	الأنبياء	48
	المؤمنون	49-45
	الفرقان	36-35
	الشعراء	68-10
	النمل	14-7
	القصص	48 -3
	العنكبوت	40 -39
	الصافات	122-114
	غافر	45-23
	غافر	54-53
	فصلت	45
	الزخرف	56-46
	الدخان	33 -17
	الذاريات	40-38
	القمر	45-41
	الصف	5
	التحريم	11
	النازعات	26 -15
إبراهيم (عليه السلام)	البقرة	141-124
	البقرة	260 -258
	آل عمران	71-65
	الأنعام	84-74
	هود	77-69
	إبراهيم	41 -35
	الحجر	60-51
	النحل	123 -120

	مريم	50 -41
	الأنبياء	73-51
	الحج	27-26
	الحج	29
	الحج	78- 77
	الشعراء	90-69
	العنكبوت	35-16
	الصافات	113-83
	الزخرف	28-27
	الذاريات	37 -24
	النجم	37
يوسف (عليه السلام)	يوسف	102 -4
	غافر	34
لوط (عليه السلام)	الأعراف	84 -80
	هود	83-69
	الحجر	69-58
	الحجر	74-71
	الحجر	78-76
	الانبياء	75-71
	الشعراء	175-160
	النمل	59-54
	العنكبوت	35 -28
	الصافات	136-133
	القمر	39 -33
	التحريم	10
عيسى (عليه السلام)	البقرة	253
	آل عمران	64-33
	النساء	158-156
	النساء	175-171

	المائدة	119-100
	مريم	36 -22
	المؤمنون	50
	الزخرف	65 -57
	الصف	7-6
صالح (عليه السلام)	الأعراف	79 -73
	هود	68-61
	الشعراء	159 -141
	النمل	53-45
	فصلت	18-17
	الذاريات	45-43
	القمر	31-23
	الحاقة	5-4
	الشمس	15-11
سليمان (عليه السلام)	الأنبياء	82-78
	النمل	44 -15
	سبأ	13-12
	ص	40-30
هود (عليه السلام)	الأعراف	72-65
	هود	60-50
	الشعراء	140-123
	فصلت	16-13
	القمر	21-18
	الحاقة	8-6
شُعيب (عليه السلام)	الأعراف	92-85
	هود	95-84
	الشعراء	191-176
	العنكبوت	137-136
داوود (عليه السلام)	البقرة	251 -249

	الأنبياء	82 -78
	النمل	16-15
	سبأ	11-10
	ص	30-17
آدم (عليه السلام)	البقرة	38 -30
	الأعراف	27-11
زكريا (عليه السلام)	آل عمران	41-37
	مريم	11-2
	الأنبياء	90-89
يونس (عليه السلام)	يونس	98
	الأنبياء	88-87
	الصافات	148-139
إسماعيل(عليه السلام)	البقرة	137-136
	مريم	55-54
	الصافات	108-101
إلياس (عليه السلام)	الصافات	132-123
يحيى (عليه السلام)	آل عمران	41-37
	مريم	15-12
أيوب (عليه السلام)	الأنبياء	84-83
	ص	44 -41
إدريس (عليه السلام)	مريم	57-56
إسحاق (عليه السلام)	البقرة	137-136
يعقوب (عليه السلام)	البقرة	133-132
محمد (صلى الله عليه وسلم)	آل عمران	144
	الأحزاب	40
	محمد	2
	الفتح	29
هارون (عليه السلام)	البقرة	248
	الأعراف	142

	مريم	53
	طه	30
	طه	70
	طه	90
	المؤمنون	45
	الفرقان	35
	الشعراء	13
	القصص	34
	النساء	163
	الأنعام	84
	الأعراف	122
	يونس	75
	طه	92
	الأنبياء	48
	الشعراء	48
	الصافات	114
	الصافات	120
اليسع (عليه السلام)	الانعام	86
	ص	48
ذو الكفل (عليه السلام)	الأنبياء	85
	ص	48